تأثير الطرق الصوفية في بلاد زواوة على الحياة الاجتماعية و الثقافية مابين القرنين(16-19م)

The influence of the Sufi orders in Zawawa on the social and cultural life between the(16-19)centuries

بن علية وفاء[1]

المدرسة العليا للأساتذة" آسيا جبار"

wafa06071982@gmail.com

تاريخ الوصول 04 /2021/01 القبول 2021/05/21 النشر علي الخط 2021/09/15

Received 04 /01/2021 Accepted 21/05/2021 Published online 15/09/2021

ملخص:

إن موضوع الدراسة و البحث " تأثير الطرق الصوفية في بلاد زواوة في مختلف الجوانب الحياتية ما بين القرنين العاشر و الثالث عشر هجري (16-19م)" ليس بالجديد فقد اهتم الإنسان منذ القدم بدراسة تأثير الدين على المجتمعات البشرية..

و الجزائر كغيرها من البلدان تعاقبت عليها العديد من الأديان ، و قد عرفت ظاهرة التصوف منذ القرن الثامن الهجري (ق11م)؛ و لقيت إقبالا واسعا من طرف سكانها، فانتشرت و ذاع صيتها في معظم الأقطار.

و بلاد زواوة-القبائل-هي إحدى أقاليم الجزائر ، تقع في الشمال الشرقي، و هي تتميز بطابع ثقافي، اقتصادي، مناخي وتضاريسي مميز عن باقي المناطق في الجزائر، وهذه الخصائص الجغرافية خاصة هي السبب في استقرار المتصوفين و المرابطين بها، إذ يميلون إلى المناطق المنعزلة بغية التفرغ للعبادة و التأمل في خلق الله عز وجل. ولذلك انتشر التصوف و الطرقية بها كثيرا؛ و تأثر سكانها به، فانتشرت الزوايا ،المعمرات،القباب و المزارات و كثر المشايخ و العلماء، و أقبل عليها الناس من كل الأقطار يطلبون العلم و يتعلمون تعاليم الدين الإسلامي ، فذاع صيتها و أصبحت مركز إشعاع علمي و ديني ..

الكلمات المفتاحية: الطرق الصوفية – بلاد زواوة – الزوايا – التأثير و الدور- مركز اشعاع علمي.

Abstract:

The research topic in the influence of the Sufi orders, in many aspects of life, on Zouaoua region between the tenth (10^{th}) and thirteenth centuries AH is not a novelty since man has always been interested in the study of the religious influence in human societies.Algeria, as elsewhere, has been home to several religions, and Sufism has existed since the eighth century (8^{th}) AH (11 CE) ,and it was greatly embraced by peopleleading to its spread in most regions.Zouaoua region -Kabylia- is one of Algeria's provinces that lies north-east and is characterized by its cultural, economic, climatic, and topographic discrimination , and these geographical features are the main reason behind the settlement of the Sufis and the Marabouts there as they prefer secluded regions for worship and contemplation of Allah's creation. That's why The Sufi orders and the schools ,where Cheikhs and scholars promoted this sect, like the Zawiyas and the shrines were widely spread. They became acentreof influence where people soughtscientific and religious knowledge. These schools were .

Keywords: the Sufi orders- Zouaoua region- the Zawiyas-impact and role-radiation science center.

[1] المؤلّف المرسل: بن علية وفاء البريد الإلكتروني:wafa06071982@gmail.com

1. مقدمة:

إن ظهور الطرق الصوفية سواء في المشرق أو المغرب العربي، عمل على ظهور الزوايا و المشايخ و العلماء، حيث كان لهم دور هام في حياة المجتمعات الإسلامية، إذ أدت دورا أساسيا في الحفاظ على الهوية و المرجعية الدينية. و كان لها الدور الفعال في المحافظة على التماسك الديني و الخلقي و الاجتماعي، و حفظ المجتمع من تهديد الأخطار الكبرى، فقد كان الانتشار الواسع للطرق الصوفية في الجزائر تعبيرا حقيقيا عن حاجات ضرورية للأفراد و الجماعات لم توفرها المؤسسات الأخرى سواء الدينية أو المدنية، فهنا تظهر أهمية الطرق الصوفية بمؤسساتها في الحفاظ على الدين الإسلامي و نشره ، و المحافظة على المجتمع الإسلامي، حيث كانت الزوايا ملجأ للفقراء و المساكين و محطة لعابري السبيل و مأوى لليتامى و مركز إشعاع يحافظ على تقاليد المجتمع و عاداته و أصالته.

و بلاد زواوة هي أحد الأقاليم الشهيرة بالجزائر، تقع في الشمال الشرقي للجزائر و تشمل مساحة واسعة تمتد على شكل إجاصة مقلوبة قاعدتها العريضة إلى الشمال على ساحل البحر الأبيض المتوسط، و قمتها الحادة إلى الجنوب عند مدينة بوسعادة، و هي تشمل حاليا أراضي ولايتي بجاية، تيزي وزو و أجزاء من ولاية سطيف ، البويرة، برج بوعريريج و بومرداس .

إن اختياري لهذا البحث: "تأثير الطرق الصوفية في بلاد زواوة –القبائل– في مختلف الجوانب الحياتية ما بين القرنين العاشر والثالث عشر هجري (19/16م)"؛ نظرا لما لهذه الفئة من تأثير على حياة المجتمعات و الأدوار التي لعبوها عبر الفترات التاريخية سواء في الحياة الاجتماعية، الثقافية، و غيرها من الجوانب الأخرى، و هي الأدوار التي تظهر أثارها واضحة على بلاد زواوة –القبائل– بالرغم من أنها منطقة منغلقة على نفسها تتميز بتراث خاص يميزها عن باقي مناطق الجزائر و العالم الإسلامي عامة.

–النقص الكبير الذي تشكو منه الدراسات المتعلقة بالحياة الصوفية في بلاد زواوة –القبائل– خاصة في الفترة العثمانية على الرغم من أهمية مثل هذه الدراسات في بناء الفكر الاجتماعي و طول فترة الوجود التصوفي بالمنطقة حيث أنها عرفت التصوف منذ القرن 10 هـ /16 م .

–إن هذه الظاهرة لم تحظ بكثير من العناية و الاهتمام و الدراسة من طرف المؤرخين الجزائريين و اقتصرت على الأوروبيين و الفرنسيين الذين عملوا على دراسة الظاهرة و فهمها بهدف خدمة أغراضهم الاستعمارية على اعتبار أن زعماء المقاومة الوطنية المسلحة كان أغلبهم مرابطين صوفية، فكانت الرغبة جامحة لدى هؤلاء لفهم هذه الظاهرة بغية تفجيرها من الداخل أو تدجينها للحد من نشاط المقاومة.

–الدور الثقافي و الديني الذي لعبته الطرق الصوفية في نشر التعليم العربي الإسلامي بالمنطقة، و مساهمتها في إتمام تعريب الجهات الداخلية المنعزلة، و كذلك تبسيط العقيدة الإسلامية للذين ليست لهم دراية بها .

إن هذه الأسباب هي التي دفعتني من وراء ذلك لتحقيق جملة من الأهداف، أهمها:

–التعمق في الدراسات المتعلقة بتاريخ الجزائر و خاصة التاريخ الحديث .

– محاولة مني لإعطاء صورة واضحة و قريبة عن تاريخ بلاد زواوة –القبائل– خلال هذه الفترة، لاعتبار أن هذه المنطقة تتميز بتراث يختلف عن باقي مناطق الجزائر، و أنها أكثر المناطق استهدافا فقد ظلت مرتعا خصبا لدراسات المدرسة الفرنسية التي طغت عليها الإيديولوجية المتميزة بسياسة "فرّق تسد" بين العنصرين العربي و الأمازيغي و التزييف في تعاطيها مع تاريخنا الجزائري .

–محاولة فهم مدى تأثير الطرق الصوفية على الحياة الاجتماعية، و الثقافية للأفراد.

–تفسير العلاقة السائدة بين الطرق الصوفية و مختلف الفئات الاجتماعية الأخرى.

– معرفة حقيقة المجتمع القبائلي قبل الفترة الاستعمارية.

– من الأهداف الرئيسة للمجتمعات المعاصرة الحفاظ على مكونات شخصية الأمة : الدين ، اللغة ، العادات و التقاليد ، الثقافة ... وغيرها و هذا هو الهدف الذي سعت الزوايا و الطرق الصوفية إلى تحقيقه، فعلى هذا الأساس تبنى مشكلة بحثية أساسها: أثر انتشار الطرق الصوفية على المجتمع القبائلي من كافة الجوانب الحياتية، و يمكن بلورتها في الإشكالية التالية :

– إلى أي مدى أثرت الطرق الصوفية على سكان بلاد زواوة –القبائل– خلال الفترة العثمانية؟ و تقوم هذه الإشكالية على النحو التالي :

–ما هو تأثير التصوف و الطرقية على الحياة الاجتماعية و الثقافية لبلاد زواوة ؟

و فيما يخص منهجية البحث المعتمدة في دراسة الموضوع، فقد اعتمدت على المنهج التاريخي باعتباره الشاهد على ما حدث والمرشد إلى كل ما له علاقة بالموضوع الذي يهمني في هذه الدراسة، و أيضا المنهج الوصفي لوصف الأحداث التاريخية و تقصي الحقائق القائمة بين الطرق الصوفية و عامة سكان المنطقة ، و قد تم تطبيق هذا المنهج لمعرفة واقع سكان بلاد زواوة و مدى تأثير دخول الطرق الصوفية على المنطقة و كيف استطاعت هذه الطرق أن تحظى بهذه الأهمية لدى الشعب و تؤثر فيه .

. حركة التصوف في بلاد زواوة ما بين القرنين (16م–19م)

1.2 .دخول التصوف إلى المغرب الأوسط عامة والمنطقة خاصة:

على الرغم من ظهور التصوف في القرن الثاني هجري وانتشاره في المغرب العربي إلا أن المجتمع في المغرب الإسلامي عموما كان بمعزل عنه و لم يعرف أهله سوى التصوف في صورته الزهدية الأولى، منذ الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب[1]، أما التصوف بمفهومه الدقيق فقد انتقل مع المعابر الأربعة التي انتقلت بواسطتها الأفكار إلى بلاد المغرب، وهي: الحج، التجارة، طلب العلم و المؤلفات، وكان ذلك في القرن الخامس الهجري أو قبله بقليل[2].

واعتبر الباحثون أن أبا عمران الفاسي[3] هو أول من أدخل تعاليم الجنيد[4] إلى أفريقيا، أما وصول المؤلفات الصوفية فيعود إلى عبد العزيز التونسي 486هـ[5] ، حيث حضّ مريديه على قراءة (رعاية المحاسبي)، و كان هذا في أواسط القرن الخامس الهجري، ليظهر كتاب (إحياء

[1] شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم وآخرون، مراجعة فريد سوداني، الدار التونسية، 1976م، ص25

[2] عبد المنعم القاسمي: أعلام التصوف في الجزائر–منذ البدايات الى غاية الحرب العالمية الأولى–، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2007م، ص 24

[3] أصله من مدينة فاس ونزل بالقيروان، فأخذ عن أبي حسن القابسي، ثم رحل الى بغداد، فحضر مجلس القاضي أبي بكر بن الطيب، ثم عاد الى القيروان وبها مات لثلاثة عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة 430هـ، كان مقدما في الفضل والإمامة. انظر، يوسف بن يحي التادلي،: التشوف الى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، طبعة2، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء، 1997م،ص87

[4] هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري من أصل نهاوندي و لد و نشأ في بغداد، كان جلوسه في إحدى الحلقات في المسجد مفتيا و مدرسا و مناقشا، قد مكنه من إرساء العلم الصوفي كواحد من العلوم الإسلامية جنبا إلى جنب مع العلم الفقه و الحديث و التفسير، و ذاع صيته فأصبح المرجع الديني الأكبر للعامة و الخاصة في بغداد و المشرق العربي، و نال مكانة مرموقة قل أن حضي بها غيره، لأنه جمع بين الشريعة و الحقيقة و وضع أصول الطريقة للمريدين كان الجنيد من أبرز وجوه المتصوفة حيث بنى طريقته على الكتاب و السنة ، و التمسك بالأصول الشرعية ، و حارب الانحراف الخلقي و قاد حملات المتصوفة المجاهدين ضد الفتنة المادية التي طغت على المجتمع الإسلامي و بذلك عد من أكبر متصوفة أهل السنة و الجماعة حتى لُقِّب بسيِّد الطائفة[4]، وطاووس العلماء[4]، وشيخ طريقة التصوف، ومُقدّم الجماعة، وتاج العارفين...، توفي يوم السبت من شوال 298هـ–911م ، أنظر، أبو القاسم القشيري، ، ،المصدر السابق ، ص78، و انظر، أبي نصر السراج الطوسي: اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود و عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1380هـ–1960م، ص500، وانظر، صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر ، تاريخها و نشاطها، ج1، دار البراق، لبنان ، 2002، ص45.

[5] من الفقهاء ومن أهل الزهد في الدنيا، وقرأ على يد الشيخ أبي عمران الفاسي المدفون بالقيروان، وقرأ أيضا على يد الشيخ أبي إسحاق التونسي وغيرهما، دخل الأندلس واستقر بآغمات، كان مدرسا هناك وانتفع الناس عليه، ترك التدريس بعدها واشتغل بالسياحة ثم رجع الى تعليم علم التصوف مدة ثم عاد الى تدريس

علوم الدين) للإمام الغزالي[1] أواخر القرن الخامس الهجري[2]. لقي كتاب الغزالي شعبية كبيرة، و شغف بقراءته الكثير من الناس مثل: أبو الفضل النحوي الذي قال :« وددت أني لم أنظر في عمري سوى هذا الكتاب »[3].

أما بالنسبة إلى الجزائر تحديدا، فكان من أوائل الذين نشروا التصوف بالجزائر الشيخ عبد السلام التونسي[4] ، أبو مدين الغوث[5]...وغيرهم، ومن أقطابه أيضا: أحمد بن عبد الله الزواوي، عبد الرحمان الثعالبي[6] ، إبراهيم التازي ...وغيرهم[7].

وفي أواخر القرن الثامن الهجري، اتخذ التصوف في الجزائر شكلا تنظيميا تمثل في طرق و طوائف وأقيمت خلوات العبادة. حيث كان لكل طريقة خلوة خاصة بها، وانتشرت الطرق الصوفية في الجزائر بعد ذلك.

أسباب دخول التصوف الى المنطقة:

يمكن تصنيف أسباب دخول ظاهرة التصوف وانتشار الطرق الصوفية في المنطقة إلى:

- **أسباب سياسية:**

وجد سكان زواوة أنفسهم خلال هذه الفترة يميلون الى إتباع الزعامات الدينية الوافدة الى المنطقة، والواقفة الى جانب المستضعفين والفقراء [1] وهذا راجع الى الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في المنطقة آنذاك، والتي فتحت المجال أمام شخصيات علمية دينية صوفية للولوج في داخل هذا المجتمع، والتي تتمثل في :

الفقه، توفي سنة 486هـ. انظر، ابن القنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقير، تصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص106 و يوسف بن يحي التادلي، المصدر السابق، ص92

[1] محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف متصوف، له نحو مئتي مصنف، ولد عام 450هـ في الطابران بخراسان وتوفي بها عام 505هـ، رحل الى نيسابور ثم الى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد الى بلدته. نسبته الى صناعة الغزل أو الى غزالة (من قرى طوس). انظر، الزركلي،: الأعلام "قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين"، طبعة15، دار العلم للملايين، 2002م، ج7، ص22.

[2] عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص25.

[3] عبد الله التليدي: المطرب في مشاهير أولياء المغرب، مؤسسة التغليف للطباعة والنشر، المغرب، 1984م، ص31-32.

[4] أبو محمد عبد السلام التونسي، أصله من تونس وصحب عمه عبد العزيز التونسي بأغمات. فلما مات بها عمه، نزل هو الى تلمسان وبها توفي ودفن بالعباد في الرابطة المعروفة برابطة التونسي. وكان عارفا بالمسائل زاهدا في الدنيا متقشفا صليبا في الحق مغلظا على الأمراء، لا يخاف في الله لومة لائم. انظر، يوسف بن يحي التادلي، المصدر السابق، ص110

[5] هو الولي الصالح الشيخ شعيب بن حسين الأنصاري المعروف بأبي مدين الغوث، أصله من الأندلس وبالتحديد من حصن قطنيانة قرية من قرى إشبيلية. توفي والده في عهد مبكر من حياته فغادر مسقط رأسه قاصدا المغرب الأقصى، أخذ علوم الصوفية على يد الشيخ الصالح أبي علي الدقاق، غادر المغرب وحط ببجاية التي كانت حاضرة علم ومعرفة فلقب بشيخ مشايخ الإسلام وإمام العباد والزهاد، كانت وفاته عام 594هـ.انظر، ابن القنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط
، ص11 و عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، طبعة1، دار الرشاد، 1992م
، ص359.

[6] هو العلامة المجتهد والإمام القدوة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي المولود سنة 1384هـ بنواحي وادي يسر، ويتصل نسبه بعبد الله بن جعفر بن أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، درس في بلده وفي بجاية ثم انتقل الى تونس ومنها الى مصر، ثم دخل بلاد الترك حيث أقيمت له في بلدة بورصة زاوية لا تزال موقوفة عليه الى أيامنا هذه. توفي يوم الجمعة 23 رمضان سنة 875هـ ودفن بجبانة الطلبة حيث يوجد ضريحه المعروف اليوم في مدينة الجزائر. انظر، مؤيد صلاح العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر ، ص764-766

[7] عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص26

_ سقوط بجاية في يد الإسبان (916هـ/1510م) ما ساعد على انتقال العلماء والفقهاء والمتصوفين الزهاد الذين كانت تزخر بهم المدينة الى المناطق الداخلية. [2]

_ انعدام سلطة مركزية قوية قادرة على توحيد السكان ومواجهة الأخطار الخارجية.

_ بروز زعامات محلية جديدة متمثلة في إمارة آل القاضي بالقبائل الكبرى وإمارة بني عباس في القبائل الصغرى، والصراع بينهما حول الزعامة.

_ الأوضاع الاجتماعية المتردية للسكان كأسلوب الاستبداد والاستعباد المنتهج من قبل أمراء الإمارتين و فشل القوى المحلية في صد العدوان النصراني والتحالف مع العثمانيين. [3]

فهذا التحول في المنطقة التي كانت من قبل ترفض الخضوع لأي دخيل عليها، عائد الى تدهور الأوضاع السياسية وتزايد الصراع بين الزعامات المحلية، وتنامي الخطر الخارجي، مع انتشار التدهور الاقتصادي للسكان، هذا ما جعلهم يقفون جانب الوافدين الجدد الداعين الى التغيير، والساعين الى نشر العلم بين أبناء سكان المنطقة.

ولعل السبب الرئيسي الذي جعل السكان يستقبلون هذه الفئة المعتمدة على العصبية الدينية (التصوف أو النسب الشريف "إمرابظن") هو طبيعة السكان التي تقبل الخضوع للزعامة الدينية وترفض الخضوع للسلطة السياسية.[4] كون هؤلاء المتصوفين من العلماء أو الأشراف أو المرابطين، غير ممثلين للنظام الرسمي القائم، أي أنهم لا يرتبطون بالسلطة سواء كانت المركزية المتمثلة في الدولة العثمانية، أو المحلية أو القاضوية أو العباسية [5]. مما جعل نفوذهم ومكانتهم تتجاوز نفوذ بعض الرسميين مثل الأغوات والقياد. [6]

وبهذا حققت الطرقية –الصوفية– ما لم تحققه السلطة، أي توحيد السكان من جهة، والمساهمة في فشل القوى المحلية من جهة أخرى، وهي القوى التي لم تتمكن من المحافظة على نفوذها في كامل المنطقة، ولا من توقيف السلطة المركزية في بسط نفوذها على بعض الأقاليم ومناطق البلاد، خاصة الساحلية منها : كدلس، أزفون، تقزيرت، بجاية، وكذا السهلية: كسهل سيباو، حوض بوغني، سهول حمزة ومجانة.... [7]

ومن خلال هذا يظهر بأن الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في المنطقة ساهمت بشكل كبير في انتشار الطرق الصوفية وذلك نتيجة وجود أرضية خصبة قابلة لهذه البذرة التي تحمل في طياتها معالم روحية، فاستقرت و انتشرت في ربوع بلاد زواوة –القبائل– وساهمت في بعث الحياة الثقافية والعلمية بين السكان.

---

[1] محمد السعيد بن زكري: أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، الجزائر، 1903م، ص11

[2] FERAUD (ch) : conquête de bougie par les espagnols, IN,R A, N°12,o.p.u, Alger, année 1868, p 253-254

[3] **BOULIFA (SA)** : le djurdjura à travers l'histoire (depuis l'antiquité jusque 1830), imprimeur éditeur, Alger, 1925, p188

[4] أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005م، ص105

[5] RINN (L) : MARABOUTS et KHOUAN, étude sur l'islam en Algérie, Adolph, Jourdan libraire-éditeur, Alger, 1884, p 14

[6] Ibid, p15

[7] MAHE (A) : histoire de la grande Kabyle XIX XX siècles, Anthropologie historique du lien social dans les comminautés villageoises, Editions Bouchene, France, 2002, p23

- **أسباب دينية:** والمتمثلة في :

_ شخصية المرابطين والمتصوفين وصفاتهم: لعبت شخصية المرابطين دورا هاما في استمالة سكان بلاد زواوة (القبائل)، هذا الى جانب الصفات الحميدة التي كانوا يتصفون بها، وهي التي كان يميل إليها سكان المنطقة.

فالظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة في المنطقة آنذاك، جعلت سكانها يميلون الى البساطة في الحياة والزهد في النفقات، وهي الصفات نفسها التي التمسوها في هؤلاء المتصوفين، ما جعلهم يتقربون اليهم ويلتفون حولهم. [1] حيث كانوا ينظرون إليهم نظرة خاصة، معتقدين بأن هؤلاء الرجال

الأصفياء تستجاب دعواتهم وشفاعتهم وبركاتهم، ويجلبون الخير لهم.[2] فالتفوا حول المشايخ، وانضموا الى حلقاتهم التي أنشئوها في المساجد والزوايا المنتشرة بالمنطقة، وهذا من أجل ملأ الفراغ الفكري التي كانت تعاني منه بلا زواوة آنذاك.[3]

كما كان لتوجه هذه الفئة دور كبير في جلب حشود السكان نحوهم، حيث اتصفوا بالزهد في الحياة والاكتفاء بالقليل من متاع الدنيا، ولعل أهم عامل ساهم في إعطاءهم مكانة هامة بين السكان هو ابتعادهم عن هموم الصراع حول الحكم وجل الأمور السياسية، على الرغم من تميزهم بحنكة سياسية كبيرة في تسوية مشاكل السكان وحل الخلافات التي تنشب بينهم.[4]

ونظرا لقابلية المنطقة لاحتضان الطرق الصوفية الإصلاحية،[5] استطاع هؤلاء المرابطون المتصوفون بسط نفوذهم وتحقيق سلطتهم الروحية على الناس بأقل تكلفة ونشاط، وبالتالي جذب أكبر عدد من الأتباع والمريدين. [6]

_ نشاطهم: اقترنت ظاهرة التصوف في عمومها بنشر العلم والتعليم ومحاربة الجهل، وهو ما ساعدها على الانتشار الواسع في المنطقة. فالتفاف السكان حول المرابطين والمتصوفين القادمين من بجاية خاصة، أو من المناطق الغربية (المغرب الأقصى) ناتج عن إقبال السكان على تعليم أبناءهم بفعل الجهل السائد في المناطق الجبلية، إضافة الى ظروف الحياة الصعبة التي كانوا يعيشونها والتي دفعت بهم للبحث عن مخرج يقي أبناءهم تلك الصعوبات.

والدليل على مدى اهتمام السكان بالتعليم، هو انتشار ظاهرة الوقف والحبس على المؤسسات التعليمية بالدرجة الأولى، حيث أن معظم العقارات الموقوفة في المنطقة كانت موجهة أساسا الى الزوايا، بل نادرا ما نجد شيئا موقوفا على مؤسسة غير تعليمية في بلاد زواوة (القبائل).

ونتيجة لكون المرابطين والمتصوفين هم الذين كانوا يشرفون على هذه المؤسسات التعليمية، تحولوا الى رجال محبوبين عند عامة الناس، فاكتسبوا ثقة العامة الذين أصبحوا ينصاعون لأوامرهم ويتقبلون نصائحهم، وتحولوا الى قوة رئيسية في الوسط الاجتماعي القبائلي.[7] وذلك

---

[1] BOULIFA, op.cit, p186

[2] ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تج عبد الرحمان بدوي، طبعة2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981م ، ص391

[3] محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، دمشق، سورية، د.ت، ص210

[4] MAHE: histoire de la grande kabyle XIX XX siècles, Anthropologie historique du lien social dans les comminautés villageoises, Editions Bouchene, France, 2002 , p47

[5] RINN, op.cit, p23

[6] BOULIFA, op.cit, p194

[7] BOULIFA, op.cit, p189

من خلال اهتمامهم أيضا بالتوعية الاجتماعية، خاصة بين الفقراء والبائسين من السكان؛ والسعي الى التخفيف من معاناتهم والوقوف في وجه بطش الحكام منهم.[1] فكان لهذه الظاهرة دورها الكبير في انتشار الطرقية والتصوف في المنطقة.[2]

2.2 أهم الطرق الصوفية المنتشرة في المنطقة:

يعود ظهور الطرق الصوفية في بلاد زواوة –القبائل– الى حدود القرن السادس هجري / الثاني عشر ميلادي، غير أن أول مدرسة صوفية نشأت ببجاية هي مدرسة الشيخ عبد الرحمان الوغليسي (ت 786هـ/ 1388م)، وهي التي كانت سباقة الى تأسيس الفكر الصوفي بالمغرب الأوسط. [3]

إلا أن نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر هجري عرفت انتشارا واسعا للفكر الصوفي، سواء ببجاية أو بغيرها. ففي بجاية اشتهر الشيخ تواتي أحمد [4] وكذلك سيدي محمد أمقران ؛ لتصبح بعد ذلك بجاية من المناطق الأكثر استقطابا للمتصوفين. [5]

وفي هذا الزخم من رود التصوف، انتشرت الطرق الصوفية بالمنطقة وبدأت تؤثر في الحركة الصوفية بإفريقيا عامة؛ وبلاد المغرب خاصة. ونظرا لكثرة هذه الطرق وصعوبة تحديدها، سنكتفي بذكر أهمها فقط:

1/ الطريقة القادرية: هي من أولى الطرق التي حلت ببجاية على يد الشيخ سيدي بومدين بن شعيب الأندلسي (ت594هـ/ 1197م) [6]، الذي أخذ الميثاق والخرقة عن مؤسسها بالمشرق؛ لما كان في طريقه الى الحج [7]، وعند عودته الى المغرب الأوسط، وبمدينة بجاية؛ بدأ العمل العمل على نشر طريقته وكان ذلك بمثابة بداية لدخول التصوف المشرقي الى المغرب الإسلامي. [8]

كما كان مجيء إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني (ت592هـ/ 1195م) الى المغرب الأقصى، ومروره بالمغرب الأوسط الأثر الكبير في انتشار الطريقة بالمنطقة خاصة. [9]

ويمكن القول أن انتشار الطريقة القادرية بالمغرب الإسلامي عامة، ومنطقة زواوة خاصة يعود الى تعاليمها التي تعتمد على البساطة والصبر، كما جاء على لسان مؤسسها: " ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة ولا ببقبقة الصناعة، وإنما بالصبر على الأوامر واليقين في البداية" [10]، مصداقا لقوله تعالى: " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون". [11]

ومن بين الآثار الدالة على تجذر الطريقة القادرية بالمنطقة :

---

[1] Ibid, p190

[2] عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، 1981م، ص238

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الرابع عشر هجري، طبعة1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998م ، ج2، ص79-80

[4] الولي الصالح الشهير الواضح ذو الكرامات العديدة والمناقب الحميدة أبو عبد الله سيدي محمد... توفي رحمه الله ثاني شوال عام أربعة وخمسين ومائتين وألف ودفن بعد الصلاة عليه بالقرويين...انظر، محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانه الشرقية، الجزائر، 1906م، ص356-357

[5] الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908م، ص27

[6] مؤيد صلاح العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر ، ص145

[7] نفس المرجع، ص146

[8] أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص46

[9] RINN, op.cit, p178

[10] مؤيد صلاح العقبي، المرجع السابق، ص150

[11] سورة السجدة: الآية 24

أ_ الزاوية القادرية: بقرية تفرق – بزواوة الشرقية– وهي الزاوية التي أسسها إبراهيم أحد أبناء الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي مر بالمغرب الأوسط قاصدا الأندلس، وعند عودته أقام مدة بالمنطقة وأسس هذه الزاوية لأتباع الطريقة وذلك في حدود القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي. [1]

ب_ الورد الذي أخذه الحاج محمد بن عبد الودودي العمري الزموري المغربي من مشايخ الطريقة في المشرق، وعمل على نقل الطريقة الى بلاد المغرب عامة ومنطقة القبائل (زواوة) خاصة. [2]

ج_ وجود آثار دالة على تراث الطريقة ب "لغريب أومعامر" بالقرب من بجاية، وهي الآثار التي ينصح الشيخ الورتيلاني بزيارتها، والتي ذكرها في الرحلة واعتبرها مكانا مقدسا. [3]

د_ الإحصائيات التي قدمها رين (RINN)، وكذا ديبو و كوبولاني (DEPONT ET COPPOLANI)، والتي تدل على انتشار الطريقة في عدة جهات من منطقة زواوة ، وهي التي يبينها الجدول بوضوح.

2/ الطريقة الشاذلية: عرفت هذه الطريقة انتشار أقل من سابقتها – الطريقة القادرية–، إلا أنها تواجدت في مختلف جهات المنطقة الممتدة من قرقور وجبال البيبان شرقا الى يسر غربا. غير أن أتباعها اكتفوا بتأسيس عدد قليل من الزوايا التعليمية التابعة للطريقة الشاذلية.

ولقد تركت هذه الطريقة آثارا كبيرة في العالم الإسلامي عامة؛ ومغربه خاصة، ما جعل معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي تتصل بشكل أو بآخر بالطريقة الشاذلية. [4] ومن أهم الطرق الصوفية المتفرعة عنها نجد: الدرقاوية، الطيبية، اليوسفية، الزيانية، الزروقية والشيخية.. [5] ، والتي كانت متواجدة بالمنطقة أيضا ولها أتباع مثلما يوضحه رين (RINN).

3/الطريقة الرحمانية: انتشرت هذه الطريقة بشكل واسع في معظم بلاد زواوة (القبائل) وذلك نتيجة انتشار أتباعها و مريديها (الإخوان) خاصة في القرن 13هـ/19م، الذين تعلموا بزاوية سيدي أمحمد –مؤسس الطريقة– أو على يد أحد أتباعه، ثم قاموا بدورهم بنشرها في مختلف جهات المنطقة [6]. حيث أن معظم علماء نهاية القرن 12هـ/18م الذين تلقوا تعليمهم في زوايا منطقة جرجرة قد تأثروا به وعملوا على نشرها سواء في زواوة الشرقية أو زواوة الغربية. [7]

وبهذا أصبحت الطريقة الرحمانية من أهم الطرق الصوفية انتشارا في بلاد زواوة خاصة؛ والشرق الجزائري، بل حتى تونس وطرابلس الغرب عامة. [8]

أما أهم مراكزها داخل المنطقة، فإنها تتمثل في: معاتقة وسيدي نعمان التي أسس بها سي محمد أمزيان – وهو أحد أبناء الحاج محمد الجعدي– زاويته بها. [9]

---

[1] يحي بوعزيز: دائرة الجعافرة "تاريخ وحضارة وجهاد"، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص49 و مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص146

[2] RINN, op.cit, p197

[3] الورثيلاني، المصدر السابق، ص39

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص466

[5] مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص150

[6] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 506-507

[7] عبد الكريم بوعمامة: بني يعلى– لمحات من التراث اليعلاوي عادات وتقاليد، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، ص51-52 و RINN : op.cit, p453

[8] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص508

[9] RINN, op.cit, p 459

وإذا عدنا الى الإحصائيات التي أوردها كل من رين (RINN) و ديبو وكوبولاني (DEPONT ET COPPOLANI)، فإننا نلاحظ بأن انتشار زوايا وأتباع هذه الطريقة سواء في القبائل الشرقية أو الغربية؛ مرتفع جدا مقارنة بالطريقتين السابقتين.

4/ الطريقة العيساوية: هي فرع من الطريقة الشاذلية، وتنسب الى محمد بن عيسى (ت930هـ/1524م) بمكناس[1]. تواجدت هذه الطريقة الطريقة في كل من:

_ المنطقة الشرقية: تركزت زاويتها بقسنطينة، وعنابة، غير أن لها أتباع في كل من بجاية وأقبو.

_ المنطقة الغربية: أسفل جبل سيدي أبي اللواء (سيدي بالوة) بتيزي وزو، وكذلك في حوض بوغني. [2]

وعلى كل، يمكن القول بأن تأثير الطريقة العيساوية بسيط جدا ولا يظهر إلا من خلال بعض الحضرات التي يقيمها أتباعها.

5/ الطريقة العمارية: تنسب الى سيدي بوستة (ت1123هـ/1712م)، وهي تنتمي الى الطريقة القادرية [3]. تواجدت بجهات متعددة بالمنطقة، سواء بزواوة الشرقية: كمدينة بجاية، أقبو، بني منصور، أو زواوة الغربية في: مدينة برج منايل، الأربعاء، بني إيراثن و ذراع الميزان... .

أما بالنسبة الى تأثيرها؛ فهو يظهر من خلال الزيارات التي يقوم بها أتباعها في يوم عاشوراء.[4]

6/ الطريقة الدرقاوية: تنتمي الى الطريقة الشاذلية وتنسب الى مؤسسها مولاي العربي الدرقاوي المولود في منتصف القرن 18 بقبيلة درقاوة [5]، كان لها أتباع في كل من بجاية والزمورة القريبة من برج بوعريريج. [6]

7/ الطريقة الزروقية: ظهرت في مدرسة بجاية على يد علي بن أحمد زروق البرنسي، ومنها اتسع نطاقها في حوض الصومام بعدما أسس زاويته ببني وغليس[7]. فالطريقة الزروقية عرفت توسعا كبيرا حتى وصلت الى الشرق، وأصبحت بجدارة مجمع النخبة المثقفة بالمنطقة؛ والتي لا تزال آثارها الى يومنا هذا خاصة في الأساطير الشعبية بمنطقة سيدي عيش؛ وبقرية إزروقن تحديدا. [8]

هذه باختصار أهم الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في بلاد زواوة، والتي تركت آثارا مختلفة في حياة سكان المنطقة.

3.2 . أهم الزوايا المنتشرة في بلاد زواوة:

انتشرت الزوايا في مختلف جهات ونواحي بلاد زواوة، فلا تكاد تخلو قرية من كتاب أو مسجد أو زاوية. ونظرا لكثرة عددها ارتأينا أن نذكر أهمها فقط معتمدين في ذلك على جملة من المصادر و المراجع [9]،والجدول يبين ذلك[10].

---

[1] Depont et Coppolani, op.cit, p349

[2] Depont et Coppolani, op.cit, p 352-353

[3] Depont et Coppolani, op.cit, p 356

[4] Ibid , p 357

[5] Ibid, p503

[6] Ibid, p 510-511.

[7] Ibid , p 457-458

[8] Ibid, 459

[9] مؤيد صلاح العقبي، المرجع السابق، ص454-460-472 وانظر، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص 182-189 وانظر، بلقاسم حدة، العمري حنان، زوايا الأسر العلمية في منطقة زواوة، رسالة ماستر في التاريخ الحديث، إشراف عائشة جسيني، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة، 2018-2019م، ص16-18-48.

[10] أنظر الجدول رقم 1.

4.2 تأثير الطرق الصوفية على الحياة الاجتماعية لبلاد زواوة:

يعود ارتباط المسلمين بالأولياء والصالحين الى الفترات الأولى للإسلام، إذ تنص الآية الكريمة على أن الأولياء لهم مكانة عند المسلمين، فيقول المولى تبارك وتعالى: " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" [1]. فقد كانت نظرة الإسلام الى الأولياء والصالحين والصالحين من بين أهم العوامل التي جعلت العامة ترتبط بهم؛ خاصة الطبقة المثقفة بالمنطقة، هذا الى جانب إشرافهم على تسيير المؤسسات التعليمية المتمثلة في المساجد والزوايا، وهو الأمر الذي أعطى لهم مكانة هامة، جعلت العامة يرتبطون بهم، بل ويعتقدون في أضرحتهم بركة يرجون من ورائها نفعا كثيرا. [2]

وانتشر هذا الاعتقاد بين العامة، وأصبح من بين أهم الوسائل المستعملة في استمالتهم استخدام الكرامات التي يتمتع بها المرابط في بلاد زواوة –القبائل–، فأطلقوا أسماء كثيرة على هؤلاء الأشخاص، كالغوث [3] والقطب [4] والعارف بأسرار الله، وغير ذلك من الأسماء التي يعتقد العامة أنها قادرة على معرفة أسرار الغيب [5]. ويمكن لهؤلاء أن يضروهم أو ينفعوهم، ولعل دعاء المرابط (سيدي بوجملين) على أهل بجاية وخوفهم منه دليل على هذه الظاهرة [6]. فالخوف من الولي دفع بالكثير الى الاستجابة لطلباتهم وإرادتهم حتى وإن كانت سياسية، ففسح ففسح لهم هذا الأمر الطريق الى تبوء المكانة المرموقة بين السكان وأصبح لهم تأثير ودور كبير على الحياة الاجتماعية لبلاد زواوة، خاصة فيما يتعلق بتنظيم السكان، حيث أصبح المجتمع القبائلي منساق وراء المرابطين والأولياء وهذا نظرا للمكانة المرموقة التي كان يتبوأها هؤلاء، وهذا ما أشار إليه ابن زكري إذ قال: "إن القبائل وإن كثرت أفرادهم، واختلفت عوائدهم، وتباينت في الأغراض مشاربهم، قد أجمعوا من حيث العقائد والدين، واتفقوا بالطبع على الخضوع والانقياد للمرابطين عموما ولأهل الزوايا، والمقدمين من مشايخ الطريقة خصوصا" [7]، وبهذا تمكنوا من تنظيم السكان في المنطقة.

فالسكان الجبليين الرافضين الخضوع لأي سلطة سياسية؛ قد وجدوا في هؤلاء –أي المرابطين والمتصوفين–، وفي الطرق الصوفية أحسن سبيل لتحقيق النظام بين السكان في المنطقة، وخضعوا للقوانين الشرعية على الرغم من التأثر بالقوانين العرفية التي حاول رجال التصوف استخدامها؛ الى جانب القوانين الشرعية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم وسنة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، وبذلك استطاع البعض من الفقهاء التوفيق بين الشرع والعرف. [8]

---

[1] سورة يونس: الآية 62

[2] DAN : histoire de barbarie et des corsaires : des royaumes et des villes d'Alger, de la Tunisie de salé et de tripoli , 2éme édition revu,1648, p 286

[3] الغوث: هو القطب حينما يلتجأ إليه، ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثا. انظر، عبد المنعم الحفني، معجم المصطلحات الصوفية ، المرجع السابق، ص197

[4] القطب: عبارة عن رجل واحد هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، ويسمى بالغوث أيضا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو خلق على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، ويسمى أيضا بقطب العالم، وقطب الأقطاب، والقطب الأكبر، وقطب الارشاد، وقطب الدار. انظر، عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ، طبعة2، دار المسيرة، بيروت، 1987م ، ص 217

[5] سعيدوني، مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية (نموذج بلاد القبائل)، عمل ونشر في:
International congres on Learning and éducation in the ottoman world, Istanbul, April 1999, p6

[6] FERAUD : « note sur bougie » ,légendes tradition (occupation espagnole), IN : R A,N°3 et 4, année 1858 et 1859, o p u, Alger, p 463

[7] سعيدوني، الزوايا، المرجع السابق، ص 11

[8] H. TOUATI: entre dieu et les hommes, lettres saints et sorcières au Maghreb (17eme siècle), édition de l'école des hautes étude en sciences sociales, paris, 1974, P 84

ومن خلال الزوايا التي أسسها المتصوفون والأولياء والمرابطون؛ الذين قدموا الى المنطقة من عدة جهات، بل وحتى أولئك الذين ينتمون الى المنطقة أصلا [1]، يظهر التأثير الصوفي على الحياة الاجتماعية للسكان، ومن أمثلة ذلك:

1/ تحديد قيمة المهر:

إن مشكلة المهر قد أثرت في كثير من المجتمعات الإسلامية وأدت الى انتشار العنوسة والعزوبية، نظرا لعدم الاستطاعة المادية، غير أننا نجد أن هناك متصوفين ومرابطين في منطقة القبائل قد أثروا في السكان؛ من خلال التصدي لرفع قيمة المهر وتسهيل الزواج، وبقي هذا التأثير قائما الى يومنا هذا. ومن بين هؤلاء المتصوفين الولي الصالح سيدي الموفق بعرش بني مليكش، الذي ترك وصية لأولاده و حفدته وحفدة حفدته، يحدد فيها قيمة المهر الذي لا يزال يعمل به الى الآن [2]، و قيمة المهر المحددة هي عشرون سنتيما. [3]

ونفس التأثير في عرش بني إيراثن ، الذي تحدد بعض عائلاته كمية ما تأخذه العروس عندما تزف الى عريسها ، وذلك من أجل التيسير على الفقراء؛ سواء في تجهيز بناتهم أو تزويج أبنائهم. وهذا بفضل بعض الزوايا التي ساهمت الى حد كبير في تنظيم المجتمع ، فكان لها وجود اجتماعي مميز[4] . بل نجد بأن هذه الزوايا عبارة عن عقل المنطقة، ومنبع العدل فيها، ومكان اقتسام الثروة، [5] مما جعل لهذه المؤسسات المؤسسات قدسيتها بين السكان وذلك لما تقدمه من خدمات للمواطن. [6]

2/ علاقات الأخوة والتعارف والمصاهرة:

تعتبر الحضرات التي تقام عادة بالقرب من أضرحة الأولياء والزردات والوعدات [7] التي تتكرر سنويا في مناسبات مختلفة، كالمولد النبوي الشريف أو عاشوراء في بعض الزوايا والمزارات بمثابة فرصة لتعارف سكان المنطقة وتبادل المعلومات والأخبار، إذ تلعب هذه الظاهرة دورا كبيرا في المصاهرة بين العائلات، حيث تلتقي بفضل هذه المناسبات والتي تعتبر بمثابة متنفس للمرأة، ويحدث التعارف وتوثق الصلات، فكانت المصاهرات في الأزمنة القديمة تعتمد على ألوان من التعارف تخلقها هذه المناسبات.[8]

---

[1] HANOTEAU(A) et LETOURNEAUX(A) : LA KABYLIE et les coutumes kabyle, présentation de Alan Mahé, et Tilman HANNEMANN, 3T, Edition Bouchene, Paris, 2003, p 67-68

[2] وهي عادة مطبقة بين السكان في هذه الجهة، ويعتقدون بأن المخالف لها يصاب بأذى، وهذه القيمة هي عشرون سنتيما.

[3] عرف متبع الى الآن بين سكان المنطقة وحفدة الولي، ولكن هذا لا يعني أن الجوانب الأخرى يهملها العريس؛ بل تضاف الى هذه القيمة كل الأشياء التي تقتنيها العروس.

[4] محمد نسيب، المرجع السابق، ص29

[5] Benjamin STORA et Akram Ellyas : les 100 portes du Maghreb (l'Algérie le Maroc et la Tunisie), Trois voies singulières pour islam et Modernité, les éditions de l'Atelier, éditions Ouvrières, Paris, 1999, p123

[6] أبو يعلى الزواوي، المصدر السابق، ص118

[7] تظهر فيها بعض البدع والمحظورات الشرعية التي نبه مشايخ وعلماء المنطقة عليها، على الرغم مما يظهر فيها من الحس الجماعي والتضامن الاجتماعي، ونتيجة لذلك تباينت الآراء واختلفت بين مؤيد لمثل هذه الاحتفالات ومعارض لها، استدل كل فريق بحجج وبراهين؛ فنجد مثلا أن المؤيدين للاحتفالات يرون أن هذا اليوم الغاية والقصد منه هو تذكير بفضائل ومكارم والاعمال الصالحة لأولياء الله الصالحين. أما المعارضين له فيرون أن الأمور تعدت وخرجت عن النية والمقصود بسبب ما يرافق هذه الاحتفالات من الفتن الناتجة عن الاختلاط وغيرها، واستدلوا بهبوب الريح وكثرة الحوادث في مثل هذه الأيام نتيجة غضب الله عز وجل، بل أن بعض أصحاب الزوايا يرون أن كل مظاهر الفلكلورية ليست مما سنه شيوخ الزوايا، وإنما ظاهرة سنها القياد خلال الحقبة الاستعمارية ترسيخا لسمات الإسلام الجزائري كما أراده المحتل الغاصب.

[8] زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، طبعة2، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م، ص368-369

وقد عملت السلطات المحلية على تشجيع مثل هذه الحضرات، والاحتفال بالمناسبات الدينية [1]، كما هو شائع في كثير من الزوايا والمزارات كزاوية الشرفاء بهلول وزاوية سيدي وذريس...، وأثناء ذلك تجمع الأموال والصدقات التي تعود على طلاب الزاوية والمشرفين عليها. هذا ويقصد السكان المزارات الموزعة في مختلف جهات المنطقة، معتقدين أن فيها بركة الأولياء و الصالحين الذين يتخذون من المناطق المنعزلة خلوات لهم. [2]

3/ فك الخصومات:

إن حل الخصومات وإصلاح ذات البين، وتدخل المرابطين والمتصوفين في حل الخلافات بين السكان في المجتمعات الاسلامية ظاهرة قديمة نص عليها القرآن الكريم: "... فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول..."[3] ، ونتيجة لغياب السلطة القادرة على حل الخلافات خاصة في الفترة العثمانية، أصبح المرابطون هم الذين يقومون بدور القاضي بين السكان، وهي الظاهرة التي نعتقد بأنها إيجابية خاصة في مجتمع يفتقد الى ضوابط قانونية واضحة، تجعل المتخاصمين والمتنازعين يجدون من يردعهم ويطبق القوانين عليهم، ويجد الضعفاء الذين لا يستطيعون الذود عن أنفسهم، في المرابطين والعلماء المتصوفين وسيلة للاحتكام إليهم، فهم بمثابة السلطة القضائية والتشريعية في المنطقة، وهم الذين يفصلون في الدماء ويحكمون في قضاياها، ولا إعادة فيها حيث يعتبرون ذلك حكما ربانيا [4].

فالقبائلي يرى في حكم المرابط أو الشريف حكما مقدسا لا يمكن الخروج عنه أو مخالفته، حتى وإن لم يكن راضيا به، لأن تأثير زعماء الطرق الصوفية كبير في المجتمع، فهم ينقادون للمرابطين وأحكامهم حتى أصبح الناس أرقاء لحرية المتصوفين المنتسبين الى الله [5]؛ وعلى وعلى بركة المرابط تتوقف سعادة القبائلي الخيالية. [6]

وبالنسبة لإصلاح ذات البين بين المتخاصمين والمتخالفين من طرف الأشراف المرابطين الذين يعدون من المتصوفين في المجتمع، فهي ظاهرة منتشرة في جميع أعراش بلاد زواوة –القبائل–، فهم يفضلون الاحتكام الى (ربي والنبي) أي الى حكم الله و رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك تطبيقا لقوله تعالى: " فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول..."، [7] واذا كانت القضية مستعصية على مرابط أو متصوف فإنه يبعث بوفد الى عالم آخر؛ أو شريف حتى وإن كان بعيدا على عرشهم ليحكم بينهم، وعادة يكون المكان الذي يستقبل فيه الوفد يعرف ب(الشريعة) لكونه مكان تطبق فيه الشريعة الإسلامية، كما هو حال قاصدي الشيخ يحي العيدلي[8] في حياته أو أبناءه أو

---

[1] نفس المرجع، ص369

[2] DAN, Histoire de Barbarie et des corsaires, des royaumes et des villes d'Alger, et de la Tunisie, de Salé, et de Tripoli, 2ème édition revu et augmenté par le même auteur, PIERRE ROCALET, imprimeur et libraire, Paris, 1648 , p30

[3] سورة النساء: الآية 59

[4] أبو يعلى الزواوي، المصدر السابق، ص132

[5] ابن زكري، المصدر السابق، ص11

[6] حمدان خوجة، ، : المرآة، تحقيق محمد العربي الزبيري، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، منشورات ANEP، الجزائر، 2005م ص56

[7] سورة النساء: الآية 59

[8] هو عالم، فقيه، عابد، زاهد، ولي صالح، ولد في منطقة آث عباس القريبة من إغيل علي ببجاية في تاريخ مجهول. كما لا يعرف من تاريخ وفاته إلا السنة: 881هـ/ 1476م عن عمر يقارب ال85 عاما بقرية ثمقرة، وقد بنيت على قبره قبة موجودة الى الآن تعرف باسم (تقرابت). انظر، أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانه الشرقية، الجزائر، 1906م، ج2، ص584-585

علماء زاويته الذين يستقبلون المتخاصمين في مكان لا يزال يحمل اسم (الشريعة) الى اليوم، وهو المكان الذي اتخذ لتجديد زاوية الشيخ بعد تخريبها وحرقها من قبل الاستعمار، وذلك تبركا بهذا المكان[1].

ومن بين الذين عملوا على تحقيق هذه الغاية في المنطقة، بل سخر قلمه وعلمه وجهده ووقته لتحقيق هذه الغاية، هو الشيخ الحسن الورثيلاني، الذي قال في الرحلة " ... فانفصلنا من مقامنا –بني ورثيلان– بنية الزيارة وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح ذات البين..." [2]، بل أكثر من ذلك فإنه يرى من الواجب على الصالحين وأهل الخير –أي المتصوفين– القيام بهذا الدور الإصلاحي بين المتخاصمين ليرفع الله عنهم العقاب، وبنى رأيه على أحاديث نبوية شريفة واجتهاد علماء بجاية في هذا الجانب، وأصدر حكمه القاضي بأنه: " لا يجوز حال قتالهم النظر إليهم، ولا النزهة فيهم لأنها معصية، فلا يجوز مشاهدتها، وهو شريك بالنظر "[3]. هذا، ويذكر بأنه توسط بين المتخاصمين في قرية أولاد الشيخ سيدي بهلول [4]، الذين قصدهم في زيارته للقرية من أجل فض الخصام الذي كان بين سكانها، وقد ذكر ذلك قائلا: " فلما وصلنا قرية أولاد سيدي بهلول فعلوا ما أمرناهم به من الصلح مع أعدائهم، وردهم الى محلهم لأنهم حرقوهم بالنار وأخذوهم وقتلوا منهم ثلاثين". [5]

إن الشيخ الورثيلاني، المرابط والمتصوف والعالم الشهير، قد بين لنا التأثير الصوفي في الحياة الاجتماعية؛ من خلال إصلاح ذات البين وفك الخصومات والشحناء بين المتخاصمين وهذا حفاظا على دماء المسلمين، لأنه يرى بأن بلده كثر فيه القتال بين المسلمين والفتنة قل أن ترتفع بينهم، وذلك بعود الى غياب السلطة السياسية القادرة على استتباب الأمن وإحلال الاستقرار في المنطقة [6]. مما يدفع بهؤلاء المرابطين والمتصوفين الذين يجب عليهم أن يتدخلوا في إصلاح الأوضاع المتردية لكونهم يمثلون السلطة الروحية بين السكان، وهي السلطة الأكثر نفاذا في المجتمع القبائلي.

وقبل الشيخ الورثيلاني، قام الولي الصالح (علي أوالطالب)[7] بوقف الصراع الذي كان قائما بين أبناء الأسرة القاضوية، فبعد اغتيال عمر أولقاضي وعودة ابنه الملقب بأحمد التونسي؛ الذي حاول الانتقام من أعمامه ، تدخل الولي المتصوف سيدي علي أوالطالب و أوقف هذا الصراع و حال دون وقوع حرب بين أفراد العائلة الواحدة، وبذلك انتهى هذا الصراع بين المتصارعين على السلطة القاضوية. [8]

---

[1] وهو المكان الذي بنيت فيه الزاوية الحالية تبركا بالمكان في نظر شيوخ القرية وأعيانها.

[2] الورثيلاني، المصدر السابق، ص 07

[3] نفس المصدر، ص08

[4] هو الولي الصالح والشريف الواضح سيدي بهلول بن عاصم...اشتهر أنه تلميذ الشيخ سيدي يحي العيدلي، وأنه تزوج ابنته... وأولاده كثيرون. انظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص103-104

أما قريته فهي حاليا الشرفة التابعة إداريا لولاية البويرة، ومنها انتقل فرع منهم الى ناحية لعزازفة مؤسسين بها زاوية تعرف بزاوية الشرفاء بهلول، وهي قائمة الى يومنا هذا. انظر،

(M)CHERIFI: chorfa n'bahloul et les chorfa du Maghreb, impression F.I.G industries graphiques, Alger, p31-36

[5] الورثيلاني، المصدر السابق، ص13

[6] الورثيلاني، المصدر السابق ، ص08

[7] هو عالم وولي متصوف، عاش في القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي، وقد أسس زاوية له في آث يحي بكوكو، ويعتبر من المعارضين لسيدي منصور الجنادي، ويعتبر بمثابة المرجعية الدينية لآل القاضي. انظر، أحمد ساحي: أعلام من زواوة إيقواون، مدونة برج بن عزوز، مطبعة الثورة الإفريقية، ص135-136

[1]BOULIFA, op.cit, p 214-215

إن تأثير التصوف في الحياة الاجتماعية العامة بالمنطقة، يتركنا نقف على بعض المظاهر التي تتولاها القوى الدينية ، والتي كانت تتدخل لفك المتخاصمين و المتشاجرين، فيكون موقفهم حيادي في حالات مثل هذه؛ بل يعملون على التوفيق بين المتخاصمين، وهي الحادثة التي ذكرها الزواوي الذي قال: " ومنها أنهم إذا اقتتلوا أو تشاجروا فإن الشريف أو العالم الصالح يكون في الحياد التام، ويدخل بين صفوف المتقاتلين للصلح، ويدفع ذلك باليد وذا باليد، ولا يجدون في أنفسهم شيئا، ولا يؤذونه ....". [1] فظاهرة الاحتكام الى هذه الفئة من المجتمع تعتبر ظاهرة حميدة – حسب الزواوي – الذي عدها من محامد الزواوة.

4/ تحقيق الأمن و السلم :

إن دور المرابط في المجتمع القبائلي متعدد الجوانب، فإلى جانب كونه إمامهم ومعلم صبيانهم، فإن له أدوار أخرى خاصة فيما يتعلق بالسلم و الاستقرار بين السكان، لأنهم " لا يدينون بالطاعة لغير رئيس يتفقون على تقديمه "،[2] وهذا الرئيس هو مرابط القرية و إمامها الذي لا يعصي له السكان أمرا، حتى وإن كانت في الأمور العسكرية.

ولعل مثال ذلك ما وقع في بداية الاحتلال، عندما أصدر المرابط الشيخ (المهدي) أمرا سنة 1847م يأمر فيه السكان بالرحيل عن أراضيهم؛ والهجرة نحو المشرق، وهذا الأمر موجه لسكان أعالي سيباو [3]. فعلى الرغم من ارتباط السكان المحليين بأرض آباءهم و أجدادهم، أجدادهم، بل و تقديسهم لها في الدفاع عنها ، إلا أن الكثير منهم قد استجاب لنداء هذا المرابط.

فهذا المثال يعتبر من بين الأمثلة الدالة على استجابة السكان الجبليين البسطاء لأوامر مرابطيهم، حتى وإن تعلق الأمر بترك أكثر شيء قداسة – بعد العرض – بالنسبة للقبائلي. وأعتقد بأن المرابط اتخذ هذا القرار بدافع تجنب الحرب والمحافظة على النفس، خاصة و أنه يعلم الإمكانيات التي سخرتها فرنسا لإخضاع المنطقة من جهة ، وميل أغلبيتهم الى السلم من جهة أخرى، وهو السلم الذي لا يتحقق عادة إلا بتدخله. [4]

5/ تسجيل العقود:

تتميز بلاد زواوة – القبائل– بعدم خضوع كثير من جهاتها الى السلطة المركزية، ما جعلها لا تتمتع بمصالح إدارية مستقرة و نظامية، لذا فإن جل العقود الإدارية يسجلها العلماء والمرابطون ومشايخ الزوايا، و هذا ما جعل السجلات الإدارية المحلية منعدمة إلا من بعض العقود العائلية التي بقيت محفوظة من التلف.

وقد كانت معظم عقودهم تتناول الجوانب التالية:

- **عقود تقسيم التركات:** كان للعلماء والمرابطين دور كبير في تقسيم التركات بين السكان في المنطقة، وهذا نتيجة انعدام المحاكم الشرعية، كما كان لهم دور في تدوينها؛ بل حتى في حضورها والإشهاد عليها. وعلى الرغم من أن قضية الميراث قد عرفت نقاشا حادا بين علماء المنطقة، خاصة في القرن 12هـ/18م، أي بعد أمرية 1749م،[5] غير أن هذه الأمرية لم تمنع بعض العلماء والمرابطين من معارضة ما أسفرت أسفرت عنه هذه المداولة، وعلى رأس هؤلاء الشيخ الورثيلاني، الذي انتقل من بني ورثيلان الى دلس، من أجل الاتصال بعلماء زواوة الغربية

[1] أبو يعلى الزواوي، المصدر السابق، ص131

[2] مارمول كربخال، إفريقيا، تج محمد حجي وآخرون، 2ج، د.ط، مكتبة المعارف، الرباط، 1984م، ج2، ص384

[3] DEPONT et COPPOLANI, op.cit , p 260

[4] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص56

[5] الورثيلاني، المصدر السابق، ص07

و توحيد موقفهم ضدها [1]، والعمل على تحكيم شرع الله [2]. و هذا ما يظهر في الوثيقة التي كتبها الشيخ الحداد في تقسيم التركة، والتي يظهر فيها تطبيق الآية الكريمة: ".... فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا و الله بكل شيء عليم ". [3]

فمعظم هذه العقود تمت كتابتها من قبل علماء و فقهاء متصوفون بالمنطقة، مما جعل دورهم يتخطى الدور التعليمي الى الدور التوثيقي، خاصة إذا علمنا بأن هؤلاء العلماء والمرابطين كانوا من الذين تتوفر فيهم دون غيرهم جوانب علمية تساعدهم في تقسيم التركات، فنجد بعضا من العائلات التي لها شهرة في علم الفرائض، كما هو حال عائلة آل حمودي وعائلة لفقي بالقبائل الشرقية .

• **عقود البيع و الشراء** : هي العقود الأكثر تواجدا بالمنطقة، سواء في زواوة الشرقية أو الغربية، وذلك لما لهذه العقود من أهمية في الحياة العامة للسكان، ومن خلالها وجدت بأن العلماء و أتباع الطرق الصوفية هم الذين يتولون مهمة تسجيل العقود التوثيقية، بالرغم من قلة السجلات الرسمية التي تعود لفترة البحث بسبب ضياعها أو اندثارها بفعل الحرق الذي تعرضت إليه أغلبية الزوايا وذلك منذ بداية الاحتلال الفرنسي لبلاد زواوة –القبائل- .

وقد كانوا يقومون بتحديد الملكية العقارية تحديدا دقيقا، بالإضافة الى تحديد سعر الشراء، والأوجه الشرعية في صحة البيع، وكذلك الإثبات بالشهود الذين حضروا عملية البيع. ومثال ذلك الوثيقة التي يعود تاريخها الى شهر شوال 1184هـ/1798م، والتي بين فيها كاتب العقد كل ما يتعلق بالأرض المباعة، وذلك من أجل تجنب كل ما يمكن أن يجعل العقد فاسدا من الناحية الشرعية، وأكثر من ذلك تعيين الأشجار التي توجد بالأرض المباعة .

•**عقود الحبس و الوقف** : من بينها عقد يعود الى سنة 1125هـ/1682م، وكاتبه هو الموهوب بن بلقاسم ، وآخر يعود الى شهر شعبان 1181هـ/1795م و كاتبه الفقيه العدل سيدي محمد بن مصباح، الذي حبس ملكه على ولد :سيدي الموهوب. وفي هذه العقود توضح الأشياء المحبوسة ونوعيتها وموقعها، و نوعية الحبس و كذلك تحديد المحبوس له.

من خلال هذه النماذج؛ يظهر الدور الكبير الذي لعبته الطرق الصوفية في تسجيل العقود ببلاد زواوة –القبائل- ، فعلى الرغم من ضياع أغلبية العقود و الوثائق الإدارية، فإن الباقي منها يدل دلالة واضحة على الدور الكبير الذي لعبته هذه الفئة في المنطقة، والتي يظهر فيها بأن السكان لا يسجلون العقود التي لها علاقة بالحالة المدنية، كما هو الحال في المدن و المناطق الخاضعة للسلطة المركزية، و التي تتوفر على سجلات خاصة بعقود الزواج و الطلاق و المواليد وغير ذلك من الأمور المساعدة على تنظيم المجتمع. أما في المنطقة فإن الاعتماد على القوانين العرفية و التنظيم الاجتماعي المبني على القرية أو العرش، جعل الاهتمام بتنظيم الحياة الإدارية قليلا.

5.2 تأثير الطرق الصوفية على الحياة الثقافية لبلاد زواوة

كان للتواجد الصوفي الطرقي تأثير كبير في الحياة الثقافية لبلاد زواوة، من خلال نشر الزوايا في المنطقة، إضافة الى المعمرات؛ القباب والمزارات، والتي أصبحت طابعا ثقافيا مميزا للمنطقة.

إضافة الى أنها ساهمت في انتشار التعليم في مدن وقرى المنطقة وهذا بفضل الزوايا والمؤسسات الدينية التي تولت أمر التعليم في تلك الفترة. كما ساهمت الطرقية أيضا في نشر الحلقات والشعر الديني كوسيلة لتبليغ العلوم الدينية الى عامة الناس.

[1] نفس المصدر، ص07-08

[2] نفس المصدر، ص 08

[3] سورة النساء: الآية 176

أولا: تأثير الطرق الصوفية في انتشار الزوايا، المعمرات، القباب والمزارات

تأثير الطرق الصوفية في انتشار الزوايا:

لقد كان للزوايا شأن عظيم في القرن 10هـ/16م بعد الانتشار الواسع لها في كل المناطق، فالمتتبع لانتشار الزوايا بالمنطقة يجد بأنها انتشرت في مختلف النواحي والجهات، فلا تكاد تخلو قرية من كتّاب أو مسجد أو زاوية يتعلم فيها الناس مبادئ القرآن والكتابة.

كما عملت الزوايا على تعميق روح الانتماء والأخوة الإسلامية و توجيه روحي للعامة أساسه المواظبة على العبادة و تلاوة الأوراد، وهذا ما أدى الى نشر الإسلام و الثقافة الإسلامية على نطاق واسع في البوادي والمناطق المنعزلة بعد الانتشار الواسع للزوايا حيث تجاوز عددها الأربعين زاوية بالمنطقة حسب ما ذكره البعض، أما البعض الآخر فيذكر بأنها كثيرة دون إعطاء عدد لها، [1] أما أبو القاسم سعد الله فيذكر أنها تصل الى خمسين زاوية و التي اشتهرت بالتعليم و نشر الوعي بين السكان خاصة، نذكر منها : زاوية ثيري راشد (زاوية ابن أعراب)، زاوية ابن علي الشريف بآقبو ... وغيرها. [2]

فقد كانت الزاوية مؤسسة ذات شأن عظيم في المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة، سواء في الريف أو المدن، وكانت أهميتها في الريف أعظم من المدن؛ لأن في المدن ما يعوضها من كتاتيب ومساجد ومدارس، ولذلك فإن سكان الريف اعتنوا بها فجعلوا لها أرضا موقوفة يحرثها المسلمون ويعتنون بها، ويستغل إنتاج هذه الأرض في صيانة الزاوية وتغطية أجور المدرسين ومعيشة التلاميذ، كما يقدم لها مسلمو الناحية جزءا معينا من إنتاجهم الفلاحي سنويا [3]، فالزاوية ذات قيمة كبيرة بالنسبة الى سكان الناحية. ولعل وراء هذا الانتشار الواسع للزوايا بالمنطقة خلال الفترة ما بين القرن 10هـ/16م و 13هـ/19م جملة من الأسباب التي هيأت الأرض الخصبة لنمو الزوايا و انتشارها يمكن أن نحصرها في:

ـ استقرار العديد من المشايخ الذين كانوا يقيمون ببجاية قبل احتلالها في هذه المنطقة و ذلك لقربها الى المدينة و لحصانتها الطبيعية في انتظار العودة اليها، وهذا ما ساعد على تأسيس هذا العدد من الزوايا بهذه الناحية، خاصة حوض وادي الساحل (الصومام).

ـ انتشار المرابطين الذين وجدوا هذه المنطقة بيئة ملائمة لنشر التعليم وتأسيس الزوايا، خاصة الوافدين اليها من المغرب الأقصى و الساقية الحمراء. [4]

ـ إقبال سكان المنطقة على تقبل كل ما يحمل لواء العلم، خاصة اذا كان من الأشراف، لكونهم ينصاعون للمرابطين و الأولياء أكثر من انصياعهم لذوي السلطان و القوة. [5]

فهذه العوامل وغيرها قد ساعدت على انتشار الزوايا والمؤسسات التعليمية في المنطقة بصورة كبيرة خلال هذه الفترة، وهذا ما يوحي بأن هناك علاقة كبيرة بين انتشار ظاهرتي التصوف و الطرقية و انتشار الزوايا بالمنطقة و توسعها.

تأثير الطرق الصوفية في انتشار المعمرات:

عبارة عن مؤسسات ثقافية دينية تعرف في بلاد زواوة بالمعمّرة، وهي معاهد لتعليم القرآن الكريم و حفظه، و لقد انتشرت بناحية بجاية بعد الاحتلال الاسباني لها ومغادرة سكانها خصوصا الجالية الأندلسية الذين أسسوا معاهد في بني يعلى وبني وغليس [6]، لتعمم بعد

[1] سعيدوني، الزوايا، المرجع السابق، ص12
[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص265-266
[3] نفس المرجع، ص266-267
[4] عبد الرحمان دريب: الاعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، مجلد3، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، ص258
[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص466
[6] محمد نسيب، المرجع السابق، ص 30

ذلك في معظم بلاد زواوة، وتتميز عن الزاوية باحتوائها على قوانين محكمة إذا وقع خلل في تطبيقها فإن قدماء المتخرجين بها يرجع اليهم الأمر في حلها [1]، ويحضر اليها الطلبة من كل الجهات القريبة و البعيدة و ينقطعون فيها لحفظ القرآن وتجويده وترتيله وتلقي بعض العلوم الدينية واللغوية، وتسيّر هذه المعمرات تسييرا ذاتيا فيما يخص الصيانة والنظافة وطهي الطعام وجلب المؤونة و يتبادل الطلبة ذلك بصفة دورية منتظمة متعارف عليها منذ زمن بعيد [2]، و يقسم فيها الطلبة الى 03 أقسام حسب السن و القدم والثقافة وهم ثلاث فئات:

- **فئة القداشة:** وهم مختصون بحفظ القرآن فقط.
- **فئة الطلبة:** وهم فوق القداشة سنّا وثقافة، يقومون بحفظ القرآن و تعلم بعض العلوم الدينية و اللغوية و توكل لهم مهمة الإشراف على القدادشة .
- **فئة المقدمين و الوكلاء:** وهي أعلى طبقة تتمتع بتسيير المؤسسة ماديا و فكريا. [3]

لعبت هذه المعمرات دورا بارزا في تعليم القرآن واحتضنت الفقراء وأوت المساكين وتخرج منها أجيال من المثقفين ومن أهمها في المنطقة نذكر: معمرة سيدي عمر الحاج على ساحل دلسن، معمرة الشرفة قرب العزازفة، معمرة فريحة بني ورثيلان وغيرها. [4]

تأثير الطرق الصوفية[5] في انتشار الأضرحة:

الضريح في اللغة هو الشق الذي يكون وسط القبر؛ وقيل هو القبر كله، أما اصطلاحا فيطلق على البناء المشيد على القبر (أي فوقه) و يتميز ببساطة الشكل والتصميم عادة، ولا يرقى الى شكل العمارة الدينية كالمساجد ولا العمارة المدنية كالقصور [6]، وتعلو الضريح في أغلب الأحيان القبة التي تكبره وتتسع لتشمل الضريح [7]، وهذه الأضرحة عادة ما تكون لقبور أحد الأولياء أو أحد العلماء المتصوفين المرابطين والذي ينتسب سكان القرية أو بعضهم اليه، والقباب تمثل رمزا ذا قداسة، فقد ذكر بعض العلماء أضرحة و قباب تشد اليها الرحال في مواسم معينة و أيام معلومة [8]، منهم الشيخ الورثيلاني الذي كان يقدس الأولياء كثيرا، وذكر أضرحة العديد من الأولياء الذين زارهم و كراماتهم [9] المختلفة. [10]

---

[1] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والجزائرية والدولية، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص164

[2] محمد نسيب، المرجع السابق، ص31

[3] نفس المرجع، ص23

[4] عبد القادر بريم: "التنظيم الاجتماعي في الجزائر ملامحه، مراحله وواقعه، سبل النهوض به " ، منشور موقع ASJP، نشر ب 16-11-2016، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/8518

[5] وإن كان جميعها (أي الطرق) قد بُني على حب الله وحب رسوله والزهد والتقشف وإيثار الآخرة على الدنيا والانقطاع للعبادة إلا أن معظمها قد فشا فيه تقديس الأولياء إلى حد العصمة والتبرك بالأضرحة والقبور والاستغاثة بالموتى والاهتمام المبالغ بالكرامات المتوهمة وخوارق العادات وترك العمل بالأسباب وإهمال جانب العلم .

[6] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1993م، ج8، ص39

[7] نفيسة دويدة: المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد 8، 4-11-2015

[8] الورثيلاني، المصدر السابق، ص482

[9] الكرامة في سجل التصوف هي الفعل الخارق للعادة وغير المألوف في الحياة العادية، يظهره الولي الصالح ويقابلها لدى الأنبياء المعجزة والاعتقاد السائد بأنها لا تزول بعد وفاة صاحبها بل تلزم قبره. انظر: نفيسة دويدة، المرجع السابق

[10] أبو يعلى الزواوي، المصدر السابق، ص55

ظهرت هذه القباب في بلاد زواوة قبل القرن 10هـ/16م وانتشرت أكثر خلال فترة الحكم العثماني بالجزائر و شملت مناطق عديدة من البلاد؛ فلا تكاد تخلو قرية أو مدينة من ضريح أو قبة ، وعدت المنطقة الخالية منها مغضوب عليها أو تنقصها البركة. وهذا يرجع ربما الى الاعتقاد السائد لدى السكان في الأولياء وكراماتهم، فهناك تفاوت في الأهمية بين هذه الأضرحة حسب الولي الصالح صاحب الضريح و مستوى كراماته.

ويذكر الورثيلاني أن زائر هذه الأماكن إذا صفا قلبه من الهم والفساد، يستفيد منها هو وجموع الزائرين لتعظيم المدفون، أو طلب الحاجة أو الرغبة في الشقاء [1]، ولهذا فإن سكان المنطقة يولون هذه الأضرحة عناية كبيرة، فيوقفون لها أوقافا ويجددون ترميمها إذا تعرضت لتخريب، فقد اهتموا بها وأولوها أهمية كبيرة. [2]

تأثير الطرق الصوفية في انتشار المزارات:

المزارات بمثابة مراكز عسكرية قديمة تمثل رباطات جهادية وتقع على قمم الجبال والمناطق المنعزلة، ثم تحولت بعدها الى نقاط للحراسة والمراقبة، مستخدمين في الاتصال بين مركز و آخر وسائل مختلفة أهمها إشعال النار، فهي عبارة عن أماكن للمراقبة والإعلام، ثم تحولت في عرف السكان الى أماكن مقدسة يشدون الرحال اليها و يتبركون بها معتقدين فيها اعتقادات خرافية في بعض الأحيان، وهذا لأن الأولياء اتخذوها كأماكن للخلوة في المناطق المنعزلة، مما جعلها أماكن يجتمع فيها الأولياء. [3]

والمزار عبارة عن بيت منفرد في قمة الجبل، يشبه الى حد ما المصلى وبعضها يحتوي على أضرحة قديمة غير معروفة، ثم أصبح السكان يقومون بزيارتها في مواسم معينة وفي أيام معلومة بعضها دينية كعاشوراء، وبعضها موسمية كاستقبال فصل الربيع مثلا. [4]

وتعتبر زيارة هذه الأماكن خلال الأعياد و المناسبات ذات أهمية اجتماعية ودينية واقتصادية و ثقافية لدى أفراد المجتمع، فهي فرصة لتعارف العائلات وتبادل الأخبار، كما يقومون خلالها بذبح الذبائح تقربا الى الله تعالى ويوزعونها على الفقراء والمساكين ويتخذون منها مصليات لإقامة الصلوات الخاصة كصلاة الاستسقاء، وتحيط بهذه المزارات قصص مختلفة وكرامات متعددة للأولياء، فهي بذلك مكان مقدس يتبرك به عامة الناس ويعطونها أهمية بالغة، ما جعل هذه المزارات تعد من المظاهر الثقافية التي ميزت منطقة القبائل خلال فترة الحكم العثماني . [5]

ثانيا: تأثير الطرق الصوفية في انتشار التعليم

لمحة حول التعليم بالمنطقة:

لقد لعبت المؤسسات الدينية من كتاتيب، زوايا ومساجد دورا رياديا في الإمساك بزمام أمر التعليم في الجزائر في العهد العثماني، وذلك كون السلطة الوصية –الحكم العثماني– لم تعنى بقطاع التعليم عناية مباشرة، وهذا ما أكده أحمد توفيق المدني حيث قال: " بفضل الزوايا في ذلك العهد و بفضل الكتاتيب القرآنية التي انتشرت في القرى و المدن انتشارا لا نظير له، و بفضل الدور الذي يقوم به علماء و

[1] نفيسة دويدة، المرجع السابق، و زكي مبارك، التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق، طبعة2، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م ، ص485

[2] نفيسة دويدة، المرجع السابق

[3] الورثيلاني، المصدر السابق، ص 11

[4] فائزة باكر، كلثوم مومن بكوش: صورة المجتمع الجزائري من خلال الجزء الأول لرحلة الورثيلاني المعروفة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، رسالة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف محمد الحاكم بن عون، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2016-2017م، ص 73

[5] [5] فائزة باكر، كلثوم مومن بكوش المرجع السابق، ص 75

أعلام أغلب المساجد بكل المدن الجزائرية، انتشر التعليم بين الطبقات الراقية، و قلّت الأمية بين الطبقات الوسطى والعاملة، وكانت الحياة يومئذ تساعد على الإقبال على العلم، لأن الحياة كانت بسيطة هينة لا أتعاب فيها، فلم تكن ترى هناك من طبقات كبيرة معدمة تهمل حياتها المعنوية في سبيل القوت ". [1]

فقد كانت الكتاتيب من أهم مراكز الإشعاع التعليمي انتشارا في الجزائر خلال العهد العثماني، باعتبارها أقل وحدة في التعليم الابتدائي. والكتّاب جمعه كتاتيب أو المكتب كما يسمى أحيانا، كان في الغالب عبارة عن حجرة أو دكان في الأصل أو جناح في مسجد، كما كان كذلك في زوايا المرابطين أجنحة خاصة لتعليم الأطفال وحفظ القرآن[2]، وقد استمدت الكتاتيب قيمتها الثقافية من الأدوار التعليمية التي كانت تقوم بها، من تعليم الأطفال القراءة والكتابة و تحفيظ القرآن الكريم. [3]

إضافة الى الكتاتيب وجدت المساجد التي انتشرت في بجاية خاصة منها الجامع الكبير، و كان لها دور تعليمي كبير يكمن في تلاوة القرآن الكريم أولا ثم شرحه وإقامة حلقات للدروس القرآنية التي كانت تقام بها.

فقد كانت المساجد والكتاتيب هي الأكثر انتشارا في المدن، أما الزوايا فقد انتشرت أكثر في الريف وذلك يعود ربما لافتقار الأرياف للمراكز التعليمية الأخرى، اضافة الى انتشار الطرق الصوفية والتي عادة ما تتخذ من الزوايا مراكز لها [4]، إضافة الى عامل ثالث جعل الحضارة تنتقل من المدن الى الريف ألا وهو الغزو الإسباني و البرتغالي على السواحل المغاربية مع بداية القرن 10هـ/16م [5]، ما جعل العلماء والفقهاء يفرون الى الريف، فازدهرت الحركة العلمية في الريف في وجود الفقهاء والمرابطين في معظم جهات المغرب الإسلامي وفي بجاية خاصة، فقد استطاعت القوى الدينية في الريف أن تجمع بين الوظيفة التعليمية، الدينية والسياسية، فعادة ما كانت تمثل المسجد والدراسة في آن واحد حيث تكون مركزا للعبادة وكذا تدريس علوم الدين والفقه و تعليم مبادئ القراءة والكتابة، إضافة الى الدور الكبير الذي لعبته في غرس المقومات العربية الإسلامية بين السكان، لما لها من تأثير روحي وولاء شعبي؛ فاستطاعت بذلك ملأ الفراغ الذي تركته الفوضى السياسية التي آلت اليها حالة البلاد. [6]

وكلمحة عامة عن بجاية فإنها كانت من الحواضر المغاربية والإسلامية العامة في نشر العلم و الفكر وهذا بفضل ما تتوفر عليه من كتاتيب، مساجد، مدارس ومعاهد قبل تعرضها للاحتلال الإسباني (916هـ/1510م)، لتصبح منطقة القبائل بأريافها وزواياها ومرابطيها مركز إشعاع علمي بعد ذلك، حيث عملت الطرق الصوفية على نشر الزوايا بالمنطقة وبذلك انتشر التعليم داخل المنطقة بالإضافة الى تبسيط الدين للعامة والسعي الى غرسه في قلوب السكان، وهذا يبين لنا الدور الجهادي الذي لعبته الزوايا في المنطقة.

التعليم في زوايا المنطقة:

إن معظم المتصوفين في القرنين 13 و 14هـ (19/18م) كانوا من الطرائق الصوفية الذين تصدروا لتعليم العلوم المختلفة خاصة الشرعية وقراءة القرآن ورواياته، فبفضلهم انتشر التعليم في مختلف جهات المنطقة، وأصبحت زواياها مقصدا لكل طلاب العلم من مختلف

---

[1] أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، تاريخ الجزائر الى يومنا هذا و جغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص91

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص277

[3] نفس المرجع، ص279

[4] بخوش صبيحة: "وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، حوليات التاريخ والجغرافيا" ، منشور موقع algerian scientific journal platform، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/40148

[5] الورثيلاني، المصدر السابق، ص28

[6] بخوش صبيحة، المرجع السابق

المناطق والأقطار، فتحولت هذه الزوايا الى مؤسسات تدعو الى السلام وتعمل على نشر الإسلام، وبذلك عرفت المنطقة انتشار التآليف التي لها علاقة بالتصوف والعلوم الدينية، لكون المتصوفين يرون بأن الجهل والرضا به من أكبر الكبائر، فسخّروا كل جهودهم لنشر التعليم بين الأوساط الشعبية للمنطقة وتطويره [1]، و يظهر ذلك من خلال:

أ. **الأساليب المتبعة في التدريس:** من أهم الطرق المتبعة في التدريس في بلاد زواوة خلال الفترة المدروسة هي:

- **طريقة الإلقاء و الإملاء و التلقين:**

وهي من أقدم طرق التدريس، يقوم فيها المرابط أو العالم أو الفقيه بإلقاء الدروس وعلى المتعلم الإصغاء له، فالمتعلم يتلقى المعلومات من شيخه فيخزنها ثم يعيد عرضها وطرحها، وهي الطريقة التقليدية التي اعتقد بأنها الأكثر انتشارا بالمنطقة خلال العهد العثماني خاصة في المستويات الدنيا [2]، حيث يقوم الشيخ بتحفيظ بعض سور القرآن الكريم للصبيان وكذا تلقينهم مبادئ الكتابة واللغة [3]، وهذه هي طريقة التعليم والتربية المتفق عليها عند أهل المغرب، فقد ورد عند ابن خلدون: " فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط ...لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلا أن يحذق أو ينقطع دونه " [4]، فأكثر عناياتهم في التعليم هي القرآن برواياته المختلفة، وذلك اقتداء بالسلف الصالح في تعليم القرآن للصبيان، فضلا عن أن تعليم القرآن للأطفال في حد ذاته فرار من حياة المزاحمة والمغالبة على البقاء التي يتبارى أهل الدنيا للفوز بها. [5]

- **طريقة الحوار والمناقشة:**

تقوم على الحوار بين الشيخ والمتعلمين ومناقشة الأفكار والتعمق في فهمها وتعليلها، وهي طريقة كانت تقدم بها الدروس في مدارس بجاية وزواياها قبل الاحتلال الإسباني لها [6]، ومن ذلك أن أبو يحي الزواوي كان ينظم في بجاية ميعادا لتفسير القرآن قبل صلاة الظهر ووقتا آخر بعد الصلاة يدرس فيه الحديث [7]، فقد أخذ بعض العلماء الذين نزحوا منها و انتقلوا الى المناطق الداخلية فعملوا على نشرها خاصة في المستويات العليا، وهذا ما جعل بعض الزوايا تجد إقبالا كبيرا عليها لنوعية التعليم الذي يقدم بها، فبعض المشايخ لا يقتصرون على ما في الكتب المدرسية من مادة علمية بل كانوا يثرونها بروافد أخرى من أمهات الكتب . [8]

ب. **أقسام التعليم بالزاوية :**

ينقسم التعليم بالزاوية الى قسمين أساسيين هما :

---

[1] مؤيد صلاح العقبي، المرجع السابق، ص60

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص 29

[3] كاثكارت جيمس : مذكرات أسير الداي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الانجليزية وعلق عليها وقدمها: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 98

[4] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون –العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ص334

[5] الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص231

[6] الغبريني، المصدر السابق، ص 29

[7] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ –نشأه وتياراته ودوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي–، دار الهدى، عين مليلة، د.ت، ص 233

[8] الغبريني، المصدر السابق، ص30

- **التعليم العام:** ويقصد بالتعليم العام تلك الدروس الدينية التي دأب الشيخ المؤسس والمشايخ من بعده على القائها في المسجد للناس الذين لم يسعفهم وقتهم للالتزام بالنظام التعليمي في الزاوية ، و عادة ما يكونون من عامة الناس من أهل القرية أو القرى المجاورة للزاوية ، و قد كانت الدروس تشمل كل العلوم الشرعية من تفسير وفقه وعقائد رغم أنها كانت موجهة لغير المختصين، الا أنها كانت تقدم من كتاب بعينه كمختصر خليل في الفقه مثلا.

ولقد كانت ذات أثر واضح في حياة الناس، ذلك أن الهدف منها ربط المسلمين بدينهم و تنقية عقائدهم من الشرك وتصحيح معاملاتهم و توفير الحد الأدنى من العلم لهم.

- **التعليم النظامي:** ويقصد به التعليم الموجه للطلبة والقائم على مناهج علمية مضبوطة، يجتاز خلاله الطالب مراحل محددة ويخضع أثناء عملية التدريس لنظام مسطر، وكان مختلف الشيوخ حريصين على تنظيمه واستمراريته، وهو ينقسم الى قسمين :

_**حفظ القرآن:** و في هذا القسم يتم تقسيم الطلبة الى 03 أقسام :

_ **حفاظ القرآن:** هؤلاء ممن أتقنوا حفظ القرآن و ختموه أكثر من مرة و يخلفون المعلم في غيابه، و تعتبر هذه المرحلة كالتربص الذي يسبق تخرج الطالب.

_ **المعيدون:** وهم الطلبة الذين لم يحفظوا بعد القرآن الكريم بشكل جيد و يقومون بإعادته لإتقان حفظه أو بمساعدة المعلم على تدريب المبتدئين على القراءة والكتابة .

_ **المبتدئون:** وهم الطلبة الذين هم في صدد حفظ القرآن، ولم يكن مكوث الطالب في هذا القسم مرتبطا بمدة زمنية معينة، بل يرتبط تخرج الطالب بالهدف المسطر له.

ويعتبر هذا القسم من التعليم مهما في الحد من انتشار الأمية، فبالرغم من أن الطلاب يركزون على الحفظ بالدرجة الأولى دون الفهم لمضمونه ومعانيه إلا أن هذا يهيئهم لدراسة علوم الدين.

_**قسم علوم الدين:** وهو يختص بتدريس مختلف علوم الدين وفنون اللغة العربية الى جانب العلوم الأخرى والتي لا تدرس إلا بالقدر الذي يخدم علوم الدين كالفلك، الحساب، التاريخ والمنطق، وللالتحاق بهذا القسم يشترط في الطالب أن يكون حافظا للقرآن الكريم كله أو على الأقل نصفه على أن يكمل حفظ الباقي لاحقا، وتنقسم مراحل التعليم في هذا الفرع الى 03 مستويات يتدرج فيها الطلبة من الأسهل الى الأصعب ومن البسيط الى المركب، ففي المرحلة الابتدائية يدرسون القواعد النحوية في الكتب الآجرومية [1] وملحة الاعراب [2] وغيرها ، ويدرسون في الفقه كتب ابن عاشر[3] ...، الى جانب بعض الكتب في التوحيد والبلاغة والأدب، أما في المرحلة الثانوية فيدرسون القواعد في

---

[1] الآجرومية: وهو إعادة تأليف كتب أو اختصارها في شكل منظومات شعرية تعليمية، حتى يسهل حفظها على طلبة العلم خاصة في الفقه واللغة.

[2] ملحة الاعراب: هي منظومة نحوية لأبي محمد قاسم بن علي الحريري المتوفى عام 516هـ، أولها: أقول من بعد افتتاح القول – محمد ذي الطول شديد الحول. شرحها الشيخ شهاب الدين أحمد بن حسين الرملي الشافعي المتوفى سنة 844هـ، وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي في ثلاثة كراريس. انظر، حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص1817

[3] هو الإمام أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الأندلسي الفاسي ولد بمدينة فاس عام 990هـ/1582م، يعد من كبار العلماء العاملين برز في الفقه خاصة في مجال التوجيه و التعليم، و كان ذا معرفة بالقراءات و النحو و التفسير و علم الأصول من مؤلفاته: المرشد المعين على الضرورة من علوم الدين و هو المعروف لدى المغاربة "ابن عاشر"، و شرح مورد الضمآن في علم رسم القرآن، شرح على مختصر الخليل، تقييدات على العقيدة الكبرى للإمام السنوسي، توفي يوم الخميس 3 ذي الحجة عام 1040هـ/الموافق لـ 3 يوليوز 1631م.، أنظر،عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين(تراجم مصنفي الكتب العربية، ج2، ط1، مؤسسة الرسالة، 1414هـ-1993، ص331.و أنظر،عبد المغيث مصطفى بصير، الفقيه عبد الواحد بن عاشر(990هـ-1040هـ حياته و آثاره الفقهية، ط1، دار رقراق للطباعة و النشر، الرباط، 2007، ،ص65،89،

كتب قطر الندى [1] وفي الفقه كتاب الشيخ خليل بن اسحاق [2] في الفقه المالكي، أما في القسم العالي فيدرسون تفسير القرآن من تفسير الواحدي، وفي الحديث كتاب ابن أبي حمزة وغيرها من الكتب. [3]

ثالثا: تأثير الطرق الصوفية في انتشار الحلقات

لقد تركت المظاهر الطبيعية في منطقة القبائل تأثيراتها السلبية في السكان الذين وجدوا أنفسهم منعزلين جغرافيا عن المناطق الأخرى، ومتقوقعين على تراثهم الشفوي المحلي الموروث، إلا أن احتلال الإسبان لمدينة بجاية جعل الكثير من العلماء المتصوفين والمرابطين ينتقلون إلى الجهات الداخلية والجبلية الصعبة، و ذلك من أجل نشر العلم وتعليم الناس أمور دينهم وتفقيههم فيه، إلا أن الفئة العامة من السكان وجدوا صعوبة في استيعاب العلوم الدينية بالمساجد والزوايا الموجودة في مختلف جهات المنطقة، كما أن أوقاتهم لا تناسب عادة الحضور في الحلقات العلمية التي تكون حول عالم أو شيخ، مما دفع بهؤلاء المشايخ والعلماء إلى البحث عن وسيلة أو طريقة يستطيعون من خلالها تبليغ العلوم الدينية إلى عامة الناس، فظهر الشعر الشعبي الديني و حلقات الذكر بالمنطقة، وتنوعت أوقاتها ومضامينها وأقبل عليها السكان من مختلف الأعمار.

1/ تأثير الطرق الصوفية في انتشار الحلقات الدينية :

- **مفهوم الحلقة:**

الحلقة في اللغة هي دائرة فارغة الوسط، أما في الاصطلاح فهي تجمع مجموعة من الناس على شكل حلقة حول شيخ أو عالم لتلقي المعارف أو الوعظ والإرشاد أو من أجل الذكر، وهي الطريقة المتبعة في التعليم بالمساجد والزوايا خلال هذه الفترة، والتي بقيت تمارس بين المعلمين والمتعلمين إلى يومنا هذا في كثير من زوايا المنطقة. [4]

- **أنواع الحلقات:**

إن حلقات الذكر لا تقتصر على المنطقة فقط، بل نجدها في مختلف المناطق والمجتمعات، وتختلف أنواعها باختلاف الشعوب والمناسبات .و ما يهمنا هو ما يتعلق بمنطقة القبائل خلال العهد العثماني، والتي يمكن تصنيفها في الأنواع التالية:

_ الحلقات التي تعقد في المساجد: يعتبر المسجد من أهم الأماكن التي يجد فيها المواطن ما يحتاج إليه من العلوم الدينية، وهو المكان الأساسي الذي عرف انتشارا لحلقات الذكر، التي تكون عادة في أوقات محددة ومعلومة، خاصة عقب بعض الصلوات، كصلاة الفجر أو عصر الجمعة، أو بعد صلاة المغرب، لما ورد من فضل هذه الأوقات، وفيها يجتمع المصلون لقراءة الأذكار والوظائف الصوفية التي وضعها متصوفو ومرابطو المنطقة.

_ الحلقات التي تعقد في الزوايا: تختلف الحلقات بين الزوايا العلمية والزوايا الطرقية، ففي الزوايا الطرقية وعلى رأسها بالمنطقة –الزاوية الرحمانية– فإن المريدين (الإخوان) الذين يحضرون لزيارة الشيخ، فإنهم يعقدون حلقات خاصة للذكر مع الطلبة، وهي الحلقات التي تدوم

---

[1] قطر الندى: مقدمة في النحو لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن هشام النحوي، له عليه شرح، وشرحه الشهاب أحمد بن الجمال عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي. انظر، حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص1352

[2] مختصر خليل: هو كتاب في فقه المالكية بين فيه صاحبه المشهور في المذهب مجردا عن الخلاف، وفيه فروع كثيرة وعرف بمختصر خليل لأن عباراته مختصرة، ونال شهرة فاقت مختصر ابن الحاجب ومدونة سحنون ومال الناس إليه، وأقبل عليه الطلبة ودرسوه. انظر، أحمد بابا التمبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، الجزءان 1و2، طبعة1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م، ص168 وما بعدها

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص352

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص339

لمدة معينة ثم يفترق الجميع، أما التجمعات التي تعقد دوريا وفي مناسبات دينية فإنها تدوم لأيام وليال بدون انقطاع، كحال زاوية الشيخ أمقران ببني زلال، وزاوية الشيخ محند ولحسين ببني ايراثن .

وما يلفت الانتباه إلى مثل هذه الحلقات، أنها تلقى باللغتين العربية والقبائلية، فإذا كانت الحلقة مرتبطة بالعبادات فإنها تلقى باللغة العربية إكراما لها، ونزولا عند الرأي السائد بأن العبادة إنما تؤدى بلغة القرآن الكريم. أما الحلقات التي تجمع طلبة الزوايا العلمية، فإنها تتناول جوانب دينية وعلمية تكون لها علاقة بالمواد المدروسة، وهي التي يكون عليها شيخ الزاوية، أو أحد المقدمين.

_ الحلقات التي تعقد في المناسبات الدينية: خلال المناسبات الدينية المختلفة كالأعياد والمناسبات الأخرى، تعقد حلقات للذكر تجمع بين أفراد العائلة الواحدة أو مجموعة من العائلات، وفيها تعرض قصائد شعرية باللغة القبائلية، وهي عادة ترجمة لمعاني الأذكار باللغة العربية، وذلك من أجل تعميم الفائدة وتسهيل الفهم، خاصة وأن للكلمة المنطوقة مكانة هامة في حياة السكان، باعتبار أن العامة يعتمدون على المشافهة، وهي أهم وسيلة حافظت على التراث الشعبي بالمنطقة، وانتقل هذا التراث من جيل إلى آخر. كما أنها الوسيلة الرئيسية التي استخدمها المتصوفون وغيرهم من أجل التعبير عن أحاسيسهم، ومن هنا اشتهر بعض المتصوفين بشعرهم القبائلي وحكمهم التي استمدوها من القرآن الكريم أمثال الشيخ يوسف أوقاسي، والشيخ محند ولحسين، والشاعر محند وامحند... وغيرهم .

فبالنسبة الى العوام، فإن لهم حلقات من نوع خاص، تستجيب لحاجاتهم وتناسب مستوياتهم، ومن هنا بدأت حلقات الذكر تنتشر في المنطقة، وبدأ الإقبال عليها من أجل تعلم المبادئ الأساسية للعقيدة، حتى وإن كانوا أميّين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، لأن هذه الحلقات موجهة أساسا إلى هذه الفئة من السكان، وبفضلها انتشرت الأخلاق الفاضلة واكتسب الناس معرفة ودراية بالدين، دون أن يتفرغوا إلى العلم. وقد لعب المتصوفون والعلماء الذين انتشروا في مختلف جهات المنطقة دورا كبيرا في الحفاظ على توازن المجتمع عن طريق نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة، وأتقن الأميون الكثير من الجوانب الدينية والأحكام الشرعية دون دخولهم إلى المدارس أو الزوايا التعليمية، وهي ظاهرة ظلت منتشرة حتى في الفترة الاستعمارية، وهذا الأمر لا يقتصر على الرجال فقط، بل يتعداه إلى النسوة، كما هو حال قرى الجهة الشرقية من منطقة القبائل . [1]

الجدول رقم 1 :أهم الزوايا المنتشرة في بلاد زواوة

الزاوية	مؤسسها	موقعه	طريقتها	مكانتها
زاوية شلاطة (أقبو) وتعرف أيضا بزاوية ابن علي الشريف (1112هـ/ 1700م)	الشيخ الشريف سيدي موسى الجد الأعلى لأسرة ابن علي الشريف	أقبو	الطريقة القادرية	اختصت في تحفيظ كتاب الله عز وجل، إضافة الى تدريس علوم أخرى مثل: الحساب والفلك والنحو ورواية الحديث... _ من أشهر من درسوا فيها علامة الجزائر الشهير محمد البشير الإبراهيمي.

[1] فاطنة زيقم: زوايا حوض الصومام ودورها الثقافي والاجتماعي في العهد العثماني، رسالة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث، إشراف نبيل بومولة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019/2018م، ص48-49

زاوية ابن أبي داود القرن (8هـ/ 14م)	الشيخ سلمان بن داود بن موسى بن عبد الله	جبل بني سلام – أقبو– ولاية بجاية	الطريقة الرحمانية	_اشتهرت بتدريس الفقه _ كانت تدرس بها أمهات الكتب مثل: مختصر الخليل، الرسالة في الفقه، الألفية والقطر... _من أشهر من تخرج منها: الشيخ محمد بن بلقاسم صاحب الزاوية المختارية.
زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي (1045هـ/1635م)	أبو زيد عبد الرحمان بن سعد بن محمد بن علي المصباحي الخردوشي الايللولي (1105هـ/ 1691م)	حبل إيلولن قرب أقبو	/	_اختصت بالقرآن الكريم وعلومه من حفظ وإقراء ورسم وتجويد _ من أعلام الجزائر الذين تخرجوا منها: الشيخ أبو يعلى الزواوي، أبو القاسم البوجليلي.
زاوية سيدي منصور الجنادي (9هـ/ 15م)	الولي الصالح سيدي منصور الجنادي	قرية تيميزار دائرة عزازفة ولاية تيزي وزو	/	_اختصت في علم القرآن إضافة الى الفقه والأصول والنحو
زاوية الشيخ أبو القاسم البوجليلي (أواسط القرن 13هـ/ 19م)	الشيخ أبو القاسم البوجليلي	قرية بني عباس	الطريقة الرحمانية	_تتكفل بالطلبة وتعليمهم _ تستقبل الزوار للفتوى والفصل في مختلف النزاعات _ تخرج منها عدد من رجال العلم والثقافة كالشيخ آيت أحمد يوسف، محمد عمارة، الطيب عمارة.
زاوية سيدي يحي العيدلي (تمقرة) (منتصف القرن 9هـ/ 15م)	الولي الصالح الشيخ سيدي يحي العيدلي	الجنوب الشرقي لولاية بجاية في منطقة تدعى الشرفة	الطريقة الشاذلية	_ اختصت بتدريس مختلف العلوم الدينية من تحفيظ للقرآن الكريم والقراءات السبع، علوم الحديث، تدريس الفقه المالكي، علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة. _من أبرز من تخرج منها: المفكر الجزائري الأستاذ مولود قاسم.
زاوية الشيخ محمد بن بن عبد الرحمان الأزهري (12هـ/ 18م)	العالم الصالح الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري	بلدية آيت إسماعيل قرب بوغني ولاية تيزي وزو	الطريقة الرحمانية	_كانت مركز إشعاع ديني وقلعة صامدة للجهاد والمقاومة.
زاوية ابن إدريس (761هـ/ 1358م)	الشيخ أحمد بن إدريس	دائرة عزازفة ولاية تيزي وزو	/	_اختصت في تدريس القرآن الكريم _ عرفت الزاوية شهرة كبيرة في كامل البلاد وهذا راجع الى سلوك طلبتها الغرباء، حيث كانوا ينقسمون الى: • طلبة اللوحة: هم الذين يهتمون بالحفظ والعلوم • طلبة الدبوز: فرق من المشاغبين والصعاليك الذين يعملون على جلب الموارد للزاوية.
زاوية ثيري راشد وتعرف أيضا بزاوية الشيخ حسين بن أعراب (12هـ/ 18م)	الشيخ حسين بن أعراب	قرية إيشرعيون (مكان الأربعاء –بني راثن الحالي–	/	_اهتمت بالدراسة الفقهية _دراسة متن وشرح الشيخ خليل _ من الذين تخرجوا منها: ابن داود مؤسس الزاوية المعروفة باسمه.

المصدر: مؤيد صلاح العقبي، المرجع السابق، ص454–460–472 وانظر، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص 182–189 وانظر، بلقاسم حدة، العمري حنان، المرجع السابق، ص16–18–48

الجدول رقم 2: جدول يبين توزيع أتباع الطريقة بالمنطقة:

الناحية أو المدينة (البلدية المختلطة)	توضيح الإحصائيات			
	عدد الزوايا	عدد المقدمين	عدد الإخوان	عدد الأتباع

البلدية المختلطة دلس	--	--	10	10
يسر	--	--	10	10
بجاية	--	--	50	60
فناية	--	01	02	02
قرقور	--	--	50	50
زمورة (برج بوعريريج)	--	01	40	41
		المجموع		173

المصدر: RINN, op.cit, p530-537-538. Et Depont octave eT Coppolani xavier: les Conféries Religieuses Musulmanes, Typographie et Lithographie Adolphe Jourdan, Alger,p444

3. خاتمة:

وعلى ضوء ما سبق عرضه وتناوله في طيّات هذا البحث المتواضع؛ وما حواه نخلص الى أن بلاد زواوة –القبائل– وعلى غرار باقي مناطق الجزائر عايشت ظاهرة التصوف والطرق الصوفية بل واحتضنتها عبر زواياها المنتشرة في ربوع الوطن.

وما يمكن ملاحظته هو أن التصوف قد انتشر في المدن قبل الأرياف ذلك أن معظم المتصوفة قد ظهروا في المدن الكبرى مثل بجاية ووهران وتلمسان وقسنطينة والجزائر العاصمة مثل عبد الرحمان الثعالبي الذي تلقى العلم في بجاية ليستقر في الأخير بمدينة الجزائر، ولما ساءت الأحوال السياسية –الغزو الإسباني– انتقلت حركة التصوف الى داخل البلاد وأسس أتباع المرابطين زوايا لهم في الأرياف وأصبحت هي نفسها مركزا لنشر العلم وبثّ الأخلاق الفاضلة.

أما بالنسبة الى بلاد زواوة؛ فلقد وجد التصوف العملي أو الطرق الصوفية لأول مرة ببجاية والمناطق المحيطة بها، حيث كانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن بواسطة رجالات التصوف الكبار من أمثال أبي مدين، أبو زكرياء الزواوي، يحي العيدلي...، ومنها انتقل التصوف الى بقية المناطق الأخرى.

كما أن ظهور هذه الطرق الصوفية في المنطقة أدى الى ظهور الزوايا والتي انتشرت بشكل واسع عبر أنحاء الوطن، فلا تكاد تخلو قرية من كتّاب أو مسجد أو زاوية، حيث كان لهذه الزوايا الأثر البالغ والحضور الفعال في مختلف أنشطة الحياة المتنوعة، كما نهضت بالكثير من الأعباء الاجتماعية والدينية كالتعليم ونشر الأخلاق الفاضلة والتعريف بالتعاليم السمحة للدين الحنيف.

ولقد احتلت الطرقية في المجتمع القبائلي مكانة هامة لا يستهان بها، إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث، كما كان للفكر الصوفي الطرقي تأثيرا كبيرا على مختلف الجوانب الحياتية لبلاد زواوة –القبائل–، والذي برز من خلال فصول البحث، كتسهيل أمور الزواج والتصدي لرفع المهور، وهو ما ساهم في التقليل من ظاهرة العنوسة داخل المجتمع، المساهمة في فك الخصومات بين السكان دون اللجوء الى القوى السياسية المحلية أو المركزية.

كما ساهت في انتشار الزوايا وتحويلها الى منارات علمية يقصدها الطلاب من كل صوب، والتي لعبت دورا هاما في نشر التعليم وغرس الانتماء العربي الإسلامي في نفوس السكان،و ساهمت في انتشار المعمّرات، المزارات والأضرحة والتي عدّت من المظاهر الثقافية التي ميزت المنطقة خلال تلك الفترة.كم ظهرت الحلقات الدينية والشعر الشعبي الديني كوسيلة لتبليغ العلوم الدينية لعامة الناس، والتي أقبل عليها السكان من مختلف الأعمار.

و نستنتج أيضا مما تقدم ما يلي:

_ طبيعة بلاد زواوة –القبائل– الجغرافية كانت مساعدة على توجّه العلماء الذين يفضّلون العزلة إليها والاستقرار فيها بغية التفرغ للعبادة، لما توفره من العزلة والتأمل في ملكوت الله سبحانه وتعالى.

_ اخراج سكان المنطقة من العزلة الجغرافية وجعلهم أكثر احتكاكا بالمناطق الأخرى، فساهموا بذلك في التمازج البشري بين عناصر المجتمع وذلك من خلال استقرار العناصر الوافدة بالمنطقة.

_ ترجع عوامل وأسباب دخول التصوف الي بلاد زواوة –القبائل– الى عوامل سياسية من بينها سقوط الأندلس وهجرة المتصوفين منها الى الأراضي الجزائرية وخاصة بجاية، وأخرى دينية أهمها نشاط المرابطين المتصوفين في نشر العلم ومحاربة الجهل في المنطقة.

_ عُرفت الزاوية بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد، كما كانت تتخذ كمأوى لطلبة القرآن والعلم، فهي بذلك مؤسسة اجتماعية، تربوية، دينية وحتى عسكرية.

و أخيرا، إن جملة النتائج المتوصل إليها من وراء هذا البحث تجعلنا نجزم بأن التصوف والطرق الصوفية إضافة الى زواياها تبقى دائما تمثل ذلك الفضاء الفكري الواسع والهام لتراثنا العربي والإسلامي.

وفي ختام هذا البحث؛ لا يسعنا إلا أن نستأنس بما جاء على لسان عماد الدين الأصفهاني الذي قال: " **رأيت أنه لا يكتب كتابا في يومه إلا قال في غدّه لو غيّر هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل**" ، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

4. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

– محمد السعيد بن زكري: أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، الجزائر، 1903م.

– أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005م.

–ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تج عبد الرحمان بدوي، طبعة2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981م .

–محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، دمشق، سورية، د.ت.

–عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، 1981م.

–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الرابع عشر هجري، طبعة1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998م.

–محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانه الشرقية، الجزائر، 1906م.

–الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908م.

–مؤيد صلاح العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر –تاريخها ونشاطها–، دار البراق، لبنان، بيروت، 2002م.

–أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

–يحي بوعزيز: دائرة الجعافرة "تاريخ وحضارة وجهاد"، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، و مؤيد العقبي.

–عبد الكريم بوعمامة: بني يعلى– لمحات من التراث اليعلاوي عادات وتقاليد، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت.

–الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7هـ – نشأته وتياراته ودوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى، عين مليلة.

-ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر.
-عمار طالبي: ابن باديس حياته وآثاره، ج1، طبعة1، دار اليقضة العربية، بيروت، 1968م.
-محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكرين، طبعة1، ش ن ت، الجزائر، 1972م.
-عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ، طبعة2، دار المسيرة، بيروت.
- سعيدوني، مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية (نموذج بلاد القبائل)، عمل ونشر في:
-زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، طبعة2، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م.
-حمدان خوجة، ، : المرآة، تحقيق محمد العربي الزبيري، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، منشورات ANEP، الجزائر، 2005م.
-أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانه الشرقية، الجزائر، 1906م، ج2.585
-أحمد ساحي: أعلام من زواوة إيقواون، مدونة برج بن عزوز، مطبعة الثورة الإفريقية.
-مارمول كربخال، إفريقيا، تج محمد حجي وآخرون، 2ج، د.ط، مكتبة المعارف، الرباط، 1984م.
-عبد الرحمان دريب: الاعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، مجلد3، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط.
-يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والجزائرية والدولية، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1993م، ج8.
-أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، تاريخ الجزائر الى يومنا هذا و جغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م.
-كاثكارت جيمس : مذكرات أسير الداي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الانجليزية وعلق عليها وقدمها: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 98
-ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون –العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م.
-الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ –نشأه وتياراته ودوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي–، دار الهدى، عين مليلة، د.ت.
-حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.، ص1817
-عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين(تراجم مصنفي الكتب العربية، ج2، ط1، مؤسسة الرسالة، 1414هـ-1993.
-عبد المغيث مصطفى بصير، الفقيه عبد الواحد بن عاشر(990هـ-1040هـ حياته و آثاره الفقهية، ط1، دار رقراق للطباعة و النشر، الرباط، 2007، .
-أحمد بابا التمبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، الجزءان 1و2، طبعة1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م.
-بلقاسم حدة، العمري حنان، زوايا الأسر العلمية في منطقة زواوة، رسالة ماستر في التاريخ الحديث، إشراف عائشة جسيني، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة، 2018-2019م.
-فائزة باكر، كلثوم مومن بكوش: صورة المجتمع الجزائري من خلال الجزء الأول لرحلة الورثيلاني المعروفة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، رسالة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف محمد الحاكم بن عون، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2016-2017م.

-فاطنة زيقم: زوايا حوض الصومام ودورها الثقافي والاجتماعي في العهد العثماني، رسالة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث، إشراف نبيل بومولة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019/2018م.

- FERAUD (ch) : conquête de bougie par les espagnols, IN,R A, N°12,o.p.u, Alger, année 1868, --
BOULIFA (SA) : le djurdjura à travers l'histoire (depuis l'antiquité jusque 1830), imprimeur éditeur, Alger, 1925.
-RINN (L) : MARABOUTS et KHOUAN, étude sur l'islam en Algérie, Adolph, Jourdan libraire-éditeur, Alger, 1884.
-MAHE (A) : histoire de la grande Kabyle XIX XX siècles, Anthropologie historique du lien social dans les comminautés villageoises, Editions Bouchene, France, 2002.
-Depont octave eT Coppolani xavier: les Conféries Religieuses Musulmanes, Typographie et Lithographie Adolphe Jourdan, Alger.
International congres on Learning and éducation in the ottoman world, Istanbul, April 1999, p6
-FERAUD : « note sur bougie » ,légendes tradition (occupation espagnole), IN : R A,N°3 et 4, année 1858 et 1859, o p u, Alger.
-H. TOUATI: entre dieu et les hommes, lettres saints et sorcières au Maghreb (17eme siècle), édition de l'école des hautes étude en sciences sociales, paris, 1974.
-HANOTEAU(A) et LETOURNEAUX(A) : LA KABYLIE et les coutumes kabyle, présentation de Alan Mahé, et Tilman HANNEMANN, 3T, Edition Bouchene, Paris, 2003.
-Benjamin STORA et Akram Ellyas : les 100 portes du Maghreb (l'Algérie le Maroc et la Tunisie), Trois voies singulières pour islam et Modernité, les éditions de l'Atelier, éditions Ouvrières, Paris, 1999, p123
-DAN : histoire de barbarie et des corsaires : des royaumes et des villes d'Alger, de la Tunisie de salé et de tripoli , 2éme édition revu,1648.
-DAN, Histoire de Barbarie et des corsaires, des royaumes et des villes d'Alger, et de la Tunisie, de Salé, et de Tripoli, 2ème édition revu et augmenté par le même auteur, PIERRE ROCALET, imprimeur et libraire, Paris, 1648.
(M)CHERIFI: chorfa n'bahloul et les chorfa du Maghreb, impression F.I.G industries graphiques, Alger.

- **المقالات:**

-مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة عن المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، العدد2، ديسمبر 2002م
-نفيسة دويدة: المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد 8، 4-11-2015

- **مواقع الانترنيت:**

-عبد القادر بريم: "التنظيم الاجتماعي في الجزائر ملامحه، مراحله وواقعه، سبل النهوض به " ، منشور موقع ASJP، نشر ب 16-11-2016، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/8518.
-بخوش صبيحة: "وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، حوليات التاريخ والجغرافيا" ، منشور موقع algerian scientific journal platform، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/40148